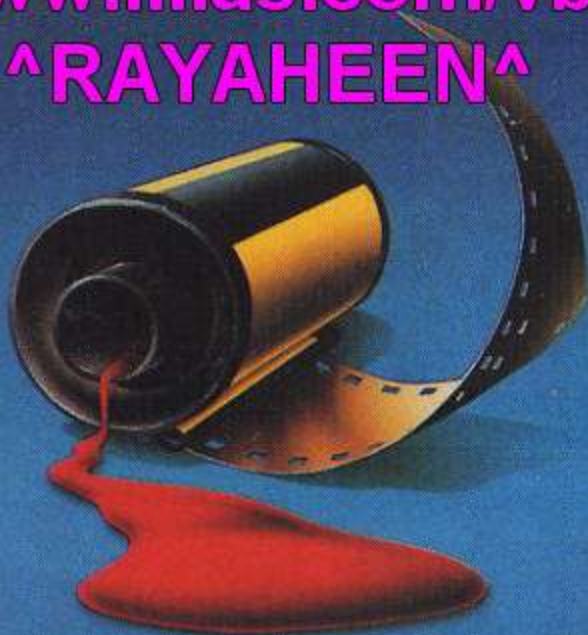


أرسيڻ لويڻ

الخطر الهائل

www.liilas.com/vb3
^ RAYAHEEN ^



مغامرات "أرسين لوبين"

● نو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة، وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم، والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوابيسية التي تصور الجريمة وتحللها وتكشف عن مرتكبيها.

هذا البطل (أرسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته إلى الثراء وكسب المال أو للثأر والانتقام من خصومه، وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة.

إنه اللص الشريف الذي يمتلئ قلبه بالحب والخير للناس. وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصص بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء والصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان.

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة.

الفصل الأول

صعد "أرسين لوبين" إلى ظهر الباخرة "برابانت" من ميناء "دوفر" قبل إبحارها بدقائق معدودات .. وانطلق إلى قمرة رأسا حيث اعتكف بها دون أن يظن إليه أحد ..

كان قد قضى بضعة أشهر في إنجلترا .. واعتزم فجأة أن يعود أدراجه إلى أمريكا للاستجمام والتماس الراحة من عناء الأعمال !!

وقد حرص على أن يتناول طعامه في قمرة ، ولم يصعد إلى سطح الباخرة إلا غرارا ، فاثار ذلك فضول المسافرين وراحوا يتساقطون عن شخصيته وعن الدافع الذي يحده إلى هذه العزلة ..

وتصادف أن ذهب "لوبين" إلى ملعب "الجمبار" في صباح اليوم الثالث من بدء الرحلة .. قتحده المدرب ، حيث كان عملاقا أعزل شديد المراس .. ولم يطق صبرا على قحة الرجل ، فقبل التحدي ، واشتبك الاثنان في ملاكمة رهيبة أسفرت عن هزيمة المدرب هزيمة منكرة ..

ولكن سرور "لوبين" بالنصر على هذا المدرب المتعجرف ما لبث أن تلاشى عندما عرف من أحد خدم الباخرة أن هذا المدرب ما هو إلا أحد رجال البوليس السري .. وقد استقل الباخرة لمراقبة بعض المحتالين من محترفي لعب الورق ..

غاص قلب "أرسين لوبين" بين جنبيه ، وأدرك أن الرجل سعى متعمدا إلى الاحتكاك به .. وأخذ يتساءل هل يعرف المدرب "ويلز" شيئا عنه وأراد مناوآته لغرض في نفسه ؟ ..

ولم تقتصر متاعب "لوبين" عند هذا الحد .. فبينما كان يجلس في قمرة ، وهو يدخن غليونته .. إذ رأى أمين حسابات الباخرة يمر في الدهليز الخارجي .. ثم يتوقف ، ويتطلع إليه متأملا .. شأن الرجل حين يرغب في مجاذبة آخر أطراف الحديث .. قال الرجل بغتة :

- خيل إلي أنني شممت رائحة تبغ فرجينيا .. وأنا مولع بتدخين هذا النوع .. فهل تسمح ؟

فقال "لوبين" في بشاشة :

- تفضل على الرحب والسعة .. اجلس ، وأملأ غليونك من هذا

- اكبر الظن انك تنعم برحلة ظريفة .. ؟

- بغير شك .. ولو أنني اعتدت أن أسافر في البواخر الكبيرة لما تمتاز به من وسائل الراحة ..

فقال أمين الحسابات :

- إن هذه الرحلة بمثابة عطلة لي .. فقد اعتدت أن أسافر في البواخر الكبيرة في غضون السنوات العشرين الأخيرة .. فمثلا قمت بخمسين رحلة على ظهر الباخرة "بواتانيا" .. ولكنني اضطررت إلى قبول هذه الرحلة لأن أمين حسابات الباخرة مريض ..

وفجأة لاحظ أمين الحسابات أن محدثه اختار له مقعدا مواجهها للباب بحيث يسقط الضوء على وجهه .. بينما جلس هو على مقعد في الظل .. فاغتاظ .. ولكنه قال محاولا التسرية عن نفسه :

- إن هذه الباخرة ، على الرغم من صغرها ، مدرسة للتعلم في فلسفة الحياة لأنها غاصة بعدد كبير من مختلف الأجناس .. لكن لا أحسب أن هذا الحديث يشوقك لأنك حريص على عزلتك وانفرادك .. !

- أوه .. لقد درست الحياة دراسة وافية .. ولم تعد بي حاجة إلى المزيد ..

وتدرج الحديث بين الرجلين إلى الجرائم والمجرمين .. فقال أمين الحسابات :

- مما يؤسف له حقا أن منصبي ، وإن خولني أن أشاهد بداية إحدى المغامرات ، فإنه لا يتيح لي شهود بقية فصولها .. فسأله "لوين" مداعبا :

- وهل شاهدت الفصول الأولى لعدد كبير من الماسي على ظهر الباخرة "برايانت" ؟

- ربما .. على أن الظواهر تشير إلى أننا قد نشاهد قريبا مأساة مروعة .. فإن أحد رجال البوليس السري يعاني - حاليا - عينا زرقاء متورمة بعد أن قضى يومين وهو يحاول عبثا أن يستدرج أحد المسافرين إلى الحديث .. ولعمري كم أود لو استطعت بوسيلة ما أن أقرأ ما يجول برأس رجل البوليس في تلك اللحظة ..

وفي التو أدرك "لوين" أن أمين الحسابات إنما أراد التحدث إليه للوقوف منه على تفاصيل المعركة التي دارت بينه وبين "ويلز" ..

وعلى الرغم من القلق الذي انتابه .. فقد قال في هدوء عجيب :

- لماذا لا تذهب إليه وتسأله عن ذلك ؟ .. لاشك أنه سيسره أن يدلي إليك بكل شيء .. !

فقال الرجل :

- قد أفعّل ذلك .. ولو أنني ربما خرجت من أسلّتي صغر اليدين .. كما يحدث في غالبية الماسي التي تبدأ على ظهور البواخر ، فطالما أفضت إلي بنتائج تافهة .. مثال ذلك ما حدث ذات يوم في الباخرة بواتانيا عندما ألفت مرساها في ميناء ليفربول .. ذلك أن شابا كان يشغل أحد أجنحة الدرجة الأولى ، ترك أمتعته ووثب إلى الأرض من فوق سطح السفينة .. وقد ذهبت الأقوال في تفسير تصرف الشاب شتى المذاهب .. فمن قائل إنه لص ورأى أحد رجال البوليس السري فلاذ بالفرار .. وذهب آخرون إلى القول بأنه كان يخشى القبض عليه لسبب ما .. وهلم جرا .. بيد أنني ما كنت أبرق إلى إدارة الشركة حتى علمت أن الشاب قدم لهم عذرا مقبولا عن تصرفه إذ زعم أنه رأى قريبا له كان قد غاب عنه زهاء السنوات العشر فوثب إلى الأرض ليلحق به .. فغمغم "لوين" :

- إن هذا الشاب سعيد الحظ حقا لأنه لم يدق عنقه ..

- إن حسن الحظ كثيرا ما يخدم صاحبه على حساب العدالة ..

فقطب "لوين" حاجبيه .. وقال :

- تخيل إلي أنك تصر على أن الشاب مجرم على الرغم من انعدام الأدلة على إجرامه ..

- يجوز .. إنني لا أزال أعتقد أنه قد حان الوقت الذي أعرف فيه الحقيقة .. ومال الرجل في مقعده .. واستطرد :

- والأّن .. هل لك أن تخبرني يا مستر "مارتن ديل" لماذا جازفت بالوثوب من فوق سطح الباخرة في تلك الليلة .. !

الفصل الثاني

اجفل "لوبيين" .. ولكنه سيطر على شعوره في الحال . ثم قال في هدوء :

- اه ! لعمرى لقد كدت انسى الحادث لتفاهته اولا ولانقضاء وقت طويل على وقوعه ثانيا . ولكن يبدو انك لا تزال تذكره جيدا . وإنه لعجيب حقا انك لم تقتنع بما اقتنعت به شركتك ..
- إن الشركة لا تعرف ما أعرفه . فانا مثلا أعرف قصة الكابتن "ساتون" ..

كانت هذه الكلمات بمثابة قنبلة القاهما الرجل .. ذلك ان الكابتن "ساتون" كان واحدا ممن يعلمون - وهم قلة في أمريكا - ان "مارتن ديل" هو "أرسين لوبيين" ..
غمغم "لوبيين" مشدوها :

- الكابتن "ساتون" ؟ هل تتحدث عن ضابطي السابق في الجيش ؟
- إنني اتحدث عن الكابتن "فرانك ساتون" الذي رأيته على ظهر الباخرة "بواتانيا" ، قوثبت إلى الأرض لتجنب لقاءه .
فصاح "لوبيين" :

- على ظهر الباخرة "بواتانيا" ؟ .. هل انت واثق مما تقول ؟ ..
- يبدو انك نسيت انني كنت امين حسابات الباخرة وقتئذ ؟ .. لاذ "لوبيين" بالصمت .. لأنه لم يستطع ان يجد سببا معقولا يحدو الكابتن "ساتون" إلى خرق وعده بان يلزم الصمت فيما يتعلق بالماضي .. بعد ان نزل كلاهما من الآخر منزلة الصديق الوفي ..
قال بعد قليل :

- مهما يكن يا سيدي .. فإنني لم اتشرف بعد بمعرفة اسمك ..
- اسمي "وارن" .. "برانتون وارن" ..
- إنن اصغ إلي يا مستر "وارن" .. عندما اقول إنني لم اكن اعلم بوجود الكابتن "ساتون" على ظهر الباخرة فإنني اقرر الحقيقة فلو انني كنت اعرف انه بين ركاب الباخرة لسرني ان اقبله . اما وثوبي فيرجع إلى انني سمعت صوت رجل يناديني من الشاطئ ، ولما كنت مدينا

لهذا الرجل بحياتي ، فقد وثبت للقاءه ، وأقسم لك بشرفي أن هذه هي الحقيقة المجردة من كل زيف ..

- قد تكون صادقا كما قد لا تكون .. مهما يكن .. فقد أقام الكابتن "ساتون" من نفسه محاميا عنك .. وأخذ يدحض أقوال المسافرين .. بل لقد كاد يبطش بأحدهم عندما أصر على أنك لص هارب من وجه العدالة ..

فقال "لوين" باسم :

- لك الله يا "ساتون" .. لقد كان دائما نعم الصديق المخلص .. وأرجو أن تتاح لي الفرصة في أحد الأيام لأوفيه حقه من التقدير فتامله أمين الحسابات مليا .. وقال :

- لم يكتف من قال إن الطيور على أشكالها تقع ! كذلك المجرمون يحنون إلى بعضهم البعض ..

فتطير شر الغضب من عيني "لوين" .. وصاح :

- لو نطقت بكلمة واحدة ضد الكابتن "ساتون" فسابطش بك .. فقال محدثه في هدوء عجيب :

- هل دار بخلدك أن حماسة الكابتن "ساتون" في الدفاع عنك هي التي حولت اهتمامي إليه .. لو أنني كنت في مكانك لفكرت مليا قبل أن أخف للدفاع عن مجرم ..

- مجرم .. ١٩

- عندما بلغت الباخرة "يوثانيا" المرفأ .. ألقى القبض على صديقك الكابتن .. وهو الآن في سجن "سنج سنج" ..

فصاح "لوين" مشدوها :

- أحقا ما تقول ؟

- لقد رأيته عند إلقاء القبض عليه .. وقرأت في الصحف نبأ الحكم عليه بعد أن وجهت إليه تهمة التبييد والشروع في القتل .. صعد "لوين" من هول النبأ .. ولم يستطع أن يصدق أنه في بادئ الأمر .. فهو يعلم أن "ساتون" من أرباب الثروات الضخمة والمراكز المحترمة فكيف يمكن أن توجه إليه تهمة التبييد ١٩ .. واستطرد أمين الحسابات :

- ومستر "ويلز" هو الذي قبض على "ساتون" .. وجمع أدلة إدانته .. فلما رأيت اهتمام "ويلز" بامرك .. تذكرت دفاع "ساتون" عنك .. وبدأت الشكوك تتساورني .. وقد اشتدت هذه الشكوك عندما رأيته تهب للدفاع عن "ساتون" ..

فابتسم "لوين" وقال :

- إنني بغير شك مقدر لموقفك ولو كنت في مكانك لساورتني نفس الريب .. لكن هل معنى ذلك أنك تعمل لحساب "ويلز" ضدي ؟

فاجاب "وارن" :

- لا .. فأني أكره "ويلز" .. وقد سررتي أنك نكلت به .. ويودي لو استطعت إن تدلل لي على خطأ ظنوني نحوك .. فلست أكتفك أنني أشعر بكثير من العطف عليك ..

فسري عن "لوين" قليلا ، ثم قال :

- إذا أردت الدليل على أنني رجل محترم ، فها هو .. ونهض إلى حقيبته وأخرج منها إطارا نفيسا يحتوي على صورة كهل وقور .. وعرضها على "وارن" قائلا :

- هل تعرف من هذا ؟

فقال "وارن" الصورة .. ثم هتف مبهوتا :

- هذه صورة "إيرل أوف روز كارل" وزير خارجية إنجلترا .. فأخرج "لوين" الصورة من الإطار .. وأدارها .. وأشار إلى العبارة التالية المسجلة فوقها :

إلى صديقي العزيز الكريم "مارتن بيل" ، تذكر مودة واعتراف بالجميل ..

ثم قال :

- لقد كان الرجل الذي ناداني من فوق الشاطئ ابن "إيرل أوف روز كارل" وإنني مدين لهذا الشاب بحياتي ، فهل تعجب إن إذا وثبت لحيته ١٩ إذا كنت لا تزال على ريبك فأكتب إليه مستفسرا ..

وكانما اقتنع "وارن" بما رأى .. إذ هتف :

- بل إنني واثق يا سيدي من صدقك .. ويؤسفني أنني أزعجتك بتفلي .. فأرجو المعذرة ..

وانبعث واقفا .. ثم استاذن وانصرف .

وبقي 'لوبيـن' وحيدا ، وقد خلفته صدمة الحكم على صديقه 'ساتون'
مضعض الحواس .. شارداً الفكر .

الفصل الثالث

وقفت السيارة الأجرة أمام منزل أنيق في حي 'سنترال ويست بارك'
فهبط منها 'لوبيـن' ، وتقدم من الباب ووضع المفتاح في ثقب سري ،
وأداره . ثم دفع الباب ، ففتح ونقل حقائبه إلى الردهة .. ثم عاد فأغلق
الباب .. وتطلع حوله .. فالتفت كل شيء في موضعه كما تركه يوم
رحيله إلى إنجلترا .

كانت خادمتها مسز كيني تأتي إلى المنزل مرة كل أسبوعين لتقوم
بتنظيفه وتهويته .

وما كاد 'لوبيـن' يستقر على أحد المقاعد في غرفة مكتبه .. حتى شم
رائحة قهوة تملأ جو الغرفة .. فعجب لذلك أيما عجب ، ونهض مسرعا
وراح يتنقل بين الغرف باحثا عن مصدر هذه الرائحة ، وما كاد
يقترّب من المطبخ حتى سمع وقع أقدام بداخله ..

فتقدم من بابه بحذر شديد .. ورأى رجلا جالسا إلى المنضدة وظهره
إلى الباب ، وكان يرتدي معطفا منزليا من معاطف 'لوبيـن' . ويطالع
إحدى صحف المساء وأمامه قدح من القهوة الساخنة .. ومدية قضية ..
بينما لاحظ انتفاخ أحد جيبي المعطف .. فأيقن أن المتطفل يحمل
مسدسا .

وابتسم 'لوبيـن' .. وقال في هدوء :

- لماذا لا تجلس في غرفة المائدة يا صاح ؟

فوضع الرجل القدح في بطة . ثم قال في احترام دون أن يلتفت
خلفه :

- ادخل يا مستر 'ديل' .. كنت أنتظر قدومك منذ أمد بعيد .

فدهش 'لوبيـن' .. وولج الغرفة .. وتامل وجه محدثه .. فأيقن من
فوره أنه لم يسبق له أن رأى هذا الوجه .. وأشار الغريب إلى 'لوبيـن'
بالجلوس .. ثم راح يحتسي قدح القهوة على مهل .. فلما فرغ منه ،
نهض واقفا .. وقال :

- دعنا نذهب الآن إلى غرفة الجلوس لنحدث في المشكلة التي
تواجهك .. وهي لماذا وكيف جئت إلى هنا ؟ .. وما تأثير وجودي عليك ؟

كان الرجل يتكلم في هدوء عجيب .. آثار استغراب "لويين" .. فقال:
- قد يكون تأثير وجودك حافزا لي على استدعاء رجال البوليس
للقبض عليك ..

فلم يجب المجهول .. وغادر الغرفة بخطى مطمئنة .. فلما جلسا في
غرفة الجلوس قال الرجل :

- قلت إن وجودي قد يدعوك إلى استدعاء البوليس ... ولكنني
انصحتك بالافعل ... لأن تحقيق البوليس سلاح ذو حدين ، قد يسيء
إلى المبلغ أعظم مما يسيء إلى المجرم .. فقي استطاعتي أن أثير الريب
حولك .. وأطالب بالتحقق منها .. وعندئذ سترغم على سلوك أحد
سبيلين .. إما أن تعترف بها أو أن تعمل على إخفاءها فلو اعترفت
بصحتها فستهلك حتما .. ولو عملت على إخفاءها فستزداد الريب في
شأنك لأنني سأدعم أقوالي بالحجج والبراهين

فتعاب "لويين" متظاهرا بعدم الاكتراث .. وقال في لهجة صارمة :
- هذا محتمل .. ولكن البوليس سيرجح بغير شك أن اليأس هو
الذي دفعك إلى تلقيب التهم ضدي ..
فاجاب الآخر في بساطة :

- هذا محتمل أيضاً .. ولكن الذي لا شك فيه هو أنه سيتعذر عليك
أن تقنعه بأنك رجل نزيه !! وفوق ذلك .. فإنني أعلم من أملك ما يعلمه
أحد .. وفي استطاعتي أن أملا اعمدة الصحف بمغامرات (أرسين
لويين) .

فاجعل "لويين" ، وعجب كيف عرف هذا الرجل شخصيته ؟ ولكنه لزم
الصمت ..

فقال الغريب :

أظن أن كليتا قد فهم صاحبه ، إذن علينا ألا نقحم البوليس في
أحاديثنا . ولنتحدث كصديقين .. وإنني ، من جانبي أقدم لك هذا
المسند عربونا على صداقتي وحسن نواياي ..

وأخرج مسند "لويين" من جيب المعطف ، وقدمه إليه .. فقال
"لويين" :

- ثق أنني لن ألجا إلى استعمال العنف .. ولكنني مصر على أن

أعرف معنى استحاحك منزلي ولثابتي .. وما الذي تريده .. ؟

فقال الغريب بغير قليل من البرود :

- هذا حق مشروع .. حسنا .. أنت لا تستطيع بالتأكيد أن تنكر أنك

أرسين لويين أمير اللصوص .. و ..

وراح يسرد مغامراته .. وأخيراً قال :

- وقد كشف "دفلين" سرّك .. وصارح به رئيسه ..

وجمد "لويين" في مكانه مشدوها .. وراح يتساءل كيف عرف هذا
الرجل الغامض هذا القدر من تاريخ حياته ؟

وقال :

- لقد مزق "دفلين" اتهماته قبل أن يموت ..

- ولكنه لم يمزقها قبل أن تقرأ وتستوعب .. لقد كان رئيسك في
الجيش محامياً ، رجلاً عركته الحياة ، فاحتفظ بمحتويات الوثيقة
مسجلة في ذاكرته ..

ولم يبق لدى "لويين" شك في أن "ساتون" هو الذي وشى به .

- إذن فقد وشى بي "ساتون" ؟

- إنك مخطئ يا "لويين" .. إن "ساتون" ليس عدوك .. ومن الظلم أن

تلقى اللوم أو التبعة عليه ..

- ولكنه نكث العهد الذي قطعه لي ! الحق أنني لا أكاد أفهم الموقف
على حقيقته ..

- أصبت .. ولكنك حين تفهمه سوف تعطف عليه كل العطف .. إنك
بغير شك تعلم أن "ساتون" رجل واسع الثراء ولكنه الآن خاوي الوفاض
محكوم عليه بالسجن عشرة أعوام .. ولم يعد يعرف باسم الكابتن
"ساتون" .. وإنما أصبح رقماً بعد أن كان إنساناً مبعجلاً ..

- مهما يكن ، فهو قد وشى بي إلى رجل غريب .. ولا يبعد أنه أقضى
بسري إلى كثيرين أنت من بينهم ..

- أنا فقط الشخص الذي يعرف بما كانت تحتوي عليه وثائق "دفلين"
لأنني الأخ الأكبر والأوحد لصديقك .. أنا "كاميل ساتون"

فسري عن "لويين" ، ولكنه حرص على أن يظل وجهه جامداً ، ثم قال :

- لم أكن أعرف أن له أخاً ..

- هذا معقول ، فإني لم أكن أقابل 'فرانك' إلا غراراً حتى وقعت الكارثة .. إذ إنني على تقيضه ، أميل إلى العزلة والإنكباب على الكتب .
ففكر 'لويين' قليلاً .. ثم قال :
- ولماذا جئت لمقابلتي ؟

- جئت لأسالك بحق الصداقة التي بينك وبين أخي أن تبادر إلى إنقاذه .. لقد لجأ 'فرانك' إلى من كان يحسبهم أصدقاء مخلصين ولكنهم تخلوا عنه جميعاً في محنته .. وصدقوا ما قرعوه في الصحف . وعندئذ فكر في الالتجاء إليك وطلب إلي أن أذكر لك ما ذكرت .. فقال 'لويين' في حماس :

- وما نوع الخدمة التي يمكن أن أقدمها إليه ؟ إن أردت مالا ..
- لا . لست في حاجة إلى المال .. إنني أريد شيئاً لم أجده بعد عند الأصدقاء .. لقد اختارك أخي لأنه يعتقد أنك الوحيد الذي لن يعرض عنه .. أو يرفض الأخذ بيده .. ولكنني أرى قبل أن أزجي إليك بالمهمة التي يريد أخي أن ينيطها بك ، أن اتحدث عن أسباب سجنه .. فهل تعرفها ؟
فقال 'لويين' :

- لقد سمعت أنه اتهم بالتبديد والشروع في القتل .
- لقد أدانته القاضي والمخلفون بحجة أنه قد نقوداً أوتمن عليها لتغطية بعض الخسائر .

- ولماذا ارتكب جريمة الشروع في القتل ؟ وهل ثبتت إدانته ؟
- إنه لم يحاول أن يقتل 'جرانت' .. إنه فقط أراد أن يجرحه .. بعد أن ثبت له أن الرجل الذي وثق به .. وأواه كل عطفه ورعايته قد خانته .. لقد كانت مسز 'ساتون' امرأة رائعة الجمال تحب المرح . وكان أخي يمدّها بأمالٍ بسخاء . وكان من حسن تقديره لها ، وثقته بها ، يعتقد أنها ستظل على إخلاصها له عندما اضطر إلى السفر إلى أوروبا لدواعي الحرب .. ولكنه كان يتوهم أنه قد لا يعود ، ومن ثم نقل كل ثروته تقريباً وجعلها باسمها . وذلك ليبرهن لها على مدى حبه وتقديره ، إنها ليست بالقصة المستحبة يا مسز 'لويين' .. (وتنهد) . يا إلهي !.. لقد تنكرت المرأة لآخي ، وضربت بحنانه وجهه عرض الأفق

عندما بدأ حب 'بايسون جرانت' يغزو قلبها . ولما كان هذا الشاب المستهتر ، مشرفاً على جميع شؤون أخي العملية فقد أخذ يعمل على تحطيمه والقضاء عليه .
ففكر 'لويين' قليلاً .. ثم قال :

- إن عطف الجمهور في مثل هذه المناسبات يكون مع الزوج المثلوم الشرف .

- من سوء الحظ أن أخي تولى الدفاع عن نفسه . ولكنه ما كاد يرى 'جرانت' في قاعة المحكمة حتى جن جنونه ، ونسي نفسه .. فاهان القاضي .. وأخذ يتوعد 'جرانت' بالقتل .. فأساء إلى نفسه ، وحكم عليه المخلفون بالسجن عشرة أعوام . وهو حكم بسيط إذا قورن بما كان عليه أخي من هياج وجنون .. إنني لا أزال احتفظ بتفاصيل المحاكمة كما نشرتها الصحف .. وأريدك أن تقرأها ..

فاستولى الأسى على 'لويين' وقال :
- وما حالته العقلية الآن ؟

- إنه يبذل جهوداً جبارة ليجمع أدلة تمكنه من تقديم طلب جديد لإعادة المحاكمة ..

- لا ريب أن ذلك ليس بالشيء الهين ؟
- إن وجوده في السجن يجعل ذلك عملاً مستحيلًا عليه .. كما هو مستحيل علي لأنني رجل ضعيف الحيلة محدود السبل ..

وفي الحال أدرك 'لويين' الغرض الذي جعل هذا الرجل يحتل منزله في غيبته .. فقال إلى الأمام في مقعده وهدق إلى وجهه ثم قال :
- إنك أخوه الوحيد كما قلت .. فهل تخشى أنت أيضاً العدالة ؟
فقال الرجل في رزانة :

- ليس في حياة كامبل ساتون ما يخشاه .
- إذن ما الذي يحذر رجلاً شريفاً إلى دخول البيوت من غير أبوابها ؟

- هناك سببان . أولهما أن باب منزلك استعصى علي . وثانيهما أنني كنت أتوقع أن يضعني 'بايسون جرانت' تحت المراقبة الدقيقة .. لأنه يعلم أنني أقسمت أن أجعله يدفع ثمناً غالياً لفعلته .. فليس

بعجيب أن يراقبني ..

وبعد فترة صمت .. استطرد 'كامبل' :

- لنعد الآن إلى حديثنا الرئيسي .. لقد جئت لأطلب إليك أن تعمل للحصول على اعتراف شامل من 'بايسون جرائت' بأن أخي بريء .. وبذلك يتاح له أن يظفر بعفو ..

فقال 'لويين' :

- أهذا كل شيء ؟ لا أظنك تعتقد أن 'جرائت' سيرضخ .. بعد أن منحه القانون عشر سنوات لينعم فيها بممتلكات أخيك المسروقة .
- ليس من سبيل آخر لإطلاق سراح أخي .. إنني أعلم أن دون الحصول على هذا الاعتراف مصاعب جمّة .. ولكن ثقة أخي فيك هي التي تحملني على الاعتقاد بأنك ستحقق أمله .. فهل تتخلى عن رجل بريء يستغيث بك ؟

ولاحظ 'كامبل' تردد 'لويين' .. فقال له في لهجة صارمة :

- إما الإذعان .. وإما السجن ... فأيهما تفضل ؟

فتقلصت عضلات وجه 'لويين' .. وصاح :

- رويداً يا هذا ! أنا لست ممن يذعنون للوعيد .. ولو شئت لأطلقت عليك النار وقلت إنني قتلتك دفاعاً عن نفسي .. ولكنتي لن أفعل .. بل وسأعمل على إنقاذ أخيك من محنته اعترافاً بجميله السابق .. وتوثيقاً لما بيننا من صداقة .

فصاح 'كامبل' في ابتهاج شديد :

- لقد كان أخي يعتقد أنك لن تتخلى عنه .. والآن أصغ إلي .. لقد شفيت حديثاً من مرض عضال .. ولم يسمح لي طبيبي الخاص إلا برياضة محدودة .. أما وقد جئت فساغتفك في غرفة معتمة طبقت لنصائح طبيبي .. ثم إن وجود أغراب في المنزل أمر غير مستحب .. فتلفت 'لويين' حوله ولكنه لم يجد أثراً للدواء .. وعندهذا قال 'كامبل' :
- إنهما عيناها هما موضع اهتمامي .. لأن انهماك في المطالعة قد أصابهما بضعف شديد . وقد نصحتني الطبيب ألا أتعرض لضوء النهار الساطع .. والآن .. أظن أن واجبي يحتم علي أن أسالك ما السبيل الذي ستسلكه للحصول على الاعتراف المنشود ؟

فقال 'لويين' وهو يحس نفوراً شديداً نحو الرجل :

- لقد خاب فالك .. فما أنا بالرجل الذي يطلع الآخرين على خطته ، أو يستشيرهم فيما يعتزم الإقدام عليه . إنني دهش لتصرفاتك الشاذة يا سيدي .. ولا اكتمك أنني سأصارع الكابتن 'ساتون' بذلك عندما أراه .
- اتعني أنك تعتزم زيارته في السجن ؟

- هذا مؤكد .. إذ ما الذي يمنعني من زيارته ؟

- إنه لا يريد منك الذهاب إليه .. لقد تحدثنا في الأمر .. وراينا أن نحول بينك وبين هذه الزيارة لئلا يراك عيون 'بايسون' الذين بلهم .. ولا ريب - في السجن ليوافوه بأسماء زائريه بعد التهديد الذي بدر منه في أثناء المحاكمة . وأظنني قلت لك إنني التجأت إلى منزلك هرباً من هؤلاء الرقباء ... وما من شك في أنك ستفقد زمام الموقف إذا رآك جواسيس 'بايسون' تتحدث إلى أخي . فاختر لك سبيلاً آخر غير الاتصال بـ 'فرانك' .

وبعد قليل من التفكير أجاب 'لويين' :

- حسناً .. أكبر الظن أنك تعرف كل شيء عن 'جرائت' ؟

- نعم ..

وأعقب ذلك حديث طويل استمر حتى منتصف الليل .

وعلى أثر هذا الحديث غادر 'لويين' المنزل على أن يعود إليه في الصباح .

الفصل الرابع

بعث 'لوبيين' برقية إلى خادمته مسز 'كينى' يطلب إليها تاجيل حضورها . ثم انطلق إلى إحدى شركات السيارات وطلب أن يتفرج على سيارة توطئة لشرائها .. فلما أعجبته واحدة ، استأنن في تجربتها . فاذنوا له ..

واستقل 'لوبيين' السيارة ، وانطلق للمقابلة رجل يدعى 'دافيد مور' وهو رجل كان في يوم ما موظفا في أحد محال الأثاث المشهورة . ولكنه فقد وظيفته عندما أغلق الحانوت أبوابه .. فعطف عليه 'لوبيين' . وفتح له حانوتا على مقربة من الميناء .. ولكنه ما لبث أن توسم فيه مخايل الذكاء . فكان يعهد إليه بمهام خاصة للتحري عن بعض الأشخاص الذين يعترضونه في مغامراته .

واقف 'لوبيين' السيارة أمام الحانوت . وسره أن رأى مظاهر الحركة ناشطة فيه .

وكانت ابنة 'مور' الكبرى منهمكة مع صبي في حديث حاد ، بينما جلس أبوها يطالع إحدى الصحف ويدخن .

وما كاد 'مور' يرى 'لوبيين' حتى وثب واقفا على قدميه ورحب به بحرارة .

ودعاه 'لوبيين' إلى جولة بالسيارة . فقبل مسرورا .. وبعد أن قطعوا شوطا بعيدا قال 'لوبيين' :

- إنني في حاجة إلى معونتك .. هل في استطاعتك أن تذهب إلى أسبوري لمدة أسبوع .

فقال 'مور' في حماسة :

- نعم . إنني على استعداد يا مستر 'ديل' .

- بديع .. لقد ابتاع 'بايسون جرانت' قصر 'ججنسوهن' في 'ديل بيتسن' حديثا . إنني أريد أن أعرف كل شيء عن 'جرانت' هذا .. عاداته أخلاقه .. أصدقائه . وكيف يقضي وقته ؟ وكَم عدد الخدم الذين ينامون داخل القصر ؟ وما أسماؤهم ؟ إلى غير ذلك . وإليك مائة ريال كدفعة أولى لنفقاتك . ولعله من الحكمة أن تزور مؤسسة 'ساتون

ومرتون في شارع 'برود' رقم ٢٨ قبل أن ترحل إلى 'ديل بيتسن' .. لقد كان 'فرانك ساتون' ضابطي ، وهو مسجون حاليا في 'سنج سنج' . فاستدرك احد موظفيه القدماء إلى الحديث عنه . وعن اخيه 'كامبل' ، وحاول أن تعرف منه إن كانوا يعتقدون أن سجنه بحق أم ليس كذلك .. فسجل 'دافيد مور' الاسماء في مذكرته . ثم سال :

- بمن ابدأ أولا ؟

- ابدأ بالاخوين 'ساتون' . وانيلني بما ستستخلصه عنهما قبل انتقالك إلى 'ديل بيتسن' . لست اريد تفاصيل محاكمة 'فرانك' ، لاني لملم بها .

وبعد أن أعاد 'لوبين' صديقه 'مور' إلى حانوته .. انصرف إلى مقابلة صديق اخر له يدعى 'كلارك' ، وهو صحفي قديم ، اخنى عليه الدهر . ولكنه وجد في 'لوبين' نعم المعين . واستقبلت مسر 'كلارك' 'لوبين' في حماسة وترحيب . فلما سألها عن زوجها أجابت :

- إنه معتكف في غرفته بالطابق العلوي ، يكتب مؤلفا جديدا .
- وهل استطيع مقابلته ؟
- بغير شك .. فقد كان إلى وقت قريب يتساعل عن الباعث لك على هذه الغيبة الطويلة .

وقادته السيدة إلى غرفة في الطابق العلوي .. وطرقت الباب .. وما كاد زوجها يفتحه ويرى 'لوبين' ، حتى عانقه .
وابتسمت المرأة . وانصرفت لسانها .

وبعد أن تبادل الرجلان حديثا طويلا في شتى الشؤون .. أدار 'لوبين' دفة الحديث إلى قضية 'فرانك ساتون' .. ثم قال :

- إن ضابطي السابق في الجيش هو الذي حكم عليه بالسجن عشر سنوات بتهمة التبييد والشرع في القتل واسمه 'ساتون' .. فهل قرأت تفاصيل هذه القضية ؟

- أوه . لقد قرأت كل سطر كتب عنها .. فقد عرفت أبا 'ساتون' عندما كان عضوا في مجلس مقاطعة 'جورجيا' . ولو اني لم اقابل أفراد أسرته .

- وما رايت في الحكم ؟

- لقد نعت 'ساتون' القاضي بالظلم .. ولقد كان معذورا إذ فقد سلطانه على نفسه . فقد وجهوا إليه تهمة استعمال القسوة مع زوجته . وهي تهمة باطلة بغير شك .. ولكنها لم تخفف من جرمه لإهانة القاضي وقذفه بالظلم . فقال 'لوبين' :

- لقد كان 'ساتون' مخلصا لزوجته يا 'كلارك' ، وصدقني أن هذه المرأة الفاجرة لا تستحق أي عطف أو شفقة .. وما من ريب في أن 'بايسون جرانت' هو الذي لفق له هذه التهم ليزج به في السجن . ويفوز بثروته وامراته معا .. إني واثق من أن زوجة 'ساتون' هي التي شجعت على الرحيل إلى فرنسا ليخلو لها الجو . وليس على 'ساتون' إذن من لوم إذا كان قد هدد 'جرانت' بالويل والثبور .. هذا وإن كان يشعر بالخوف من الأول . بيد أنه لا يزال أمامه سنوات عديدة ينعم فيها بما سرقه من الرجل الذي أحسن إليه وأنزله من نفسه منزلة الابن ولقد سمعت أنه ابتاع قصرا فاخرا في 'ديل بيتسن' .. وسينتقل أو لعله انتقل إليه .. ليلهو ويعبث ما شاء له اللهو والعبث في خلال السنوات السبع الباقية من سجن 'ساتون' . وسبع سنوات ليست بالمدة القصيرة .. فقد يموت أحد الرجلين في خلالها ولا يحقق 'ساتون' ثاره ..

فقال 'كلارك' في لهجة التوكيد :

- بل إن أحدهما سيموت قبل ذلك حتما .. ألم تسمع أن 'ساتون' أقسم أن يهرب من سجنه ويقتل 'جرانت' ؟؟

- إن ذلك يسيء إلى مركزه .. واكبر ظني أن هذا التصريح حمل المسؤولين على وضعه تحت حراسة خاصة مشددة ؟

فتامله 'كلارك' مليا .. ثم هتف :

- أخبرني .. ألا تقرأ الصحف ؟

- صباحا ، ومساء .. لكن لماذا ؟

- أين تعتقد بوجود صديق 'ساتون' الآن ؟

- في السجن بالتأكيد .

فقهه كلارك ضاحكا ، وقال ..

- كان هناك إلى اسبوعين مضيا ، ولكنه هرب .

فحدث كوين في وجهه مشدوها .. واحتقه أن يخفي عنه كامبل هرب أخيه .. ولكنه قال في بطة ..

- لا بد أنه هرب إبان عودتي من إنجلترا .. إنني لم أقرأ شيئا عن هذا الحادث في الصحف منذ عدت .

- فقال كلارك :

- لأعجب ... فقد طغت قضية طلاق كلانسي على كل نبا آخر .

- لكن كيف استطاع ساتون الفرار ؟

- كان قد أعلن اعتزامه الإضراب عن تناول الطعام كما يفعل بعض المسجونين الذين يريدون إملاء إرادتهم على المسؤولين . وقد طلب ساتون الترخيص له بمقابلة المتزعم لغريق من الطبيعيين ، أي الأشخاص الذين لا يتناولون غير ... وجبة واحدة في النهار ، لينضم إليهم . فأسرع الرجل إلى مقابله مغبطا وبينما كانا منهماكين في الحديث انقض ساتون على الرجل وصرعه . ثم ارتدى ثيابه ولاذ بالفرار . وقد رآه بعض الأشخاص على مقربة من نادي هالوا ، الذي كان عضوا فيه . ولكن سرعان ما اختفى اختفاء تاما .

فضحك كوين في مرح وختف :

- أفعل ساتون هذا ؟ لا .. إنه الآن في مكان أمين .

- من المشكوك فيه أن يفلت من قبضة البوليس لأنهم يعرفون أين يجب البحث عنه ؟ إنه يطارد بايسون جرانت وأؤكد لك أن الأخير قد أقض مضجعه .

- ولماذا لم يهاجمه حتى الآن ؟ إن ديل بيتسن ليس بالمكان النائي ؟

- إن ساتون يترقب فرصته . فالمتنظر أن جرانت سيتخلى عن حذره بعد مضي قليل من الزمن . ولعل ساتون يعتمد إطالة فترة تعذيبه بتحطيم أعضائه .

- أتعرف شيئا عن أخيه كامبل ؟

- كلا .. هل تعرف أنت شيئا عنه ؟

- قليل لا يعتد به . إنه من طراز أساتذة الجامعات . أرى أن أبادر

الآن بالانصراف لأنني على موعد مهم .

وعاد كوين أدراجه إلى منزله . فالقى كامبل جالسا في غرفة المكتب وهو يقرأ كتابا .

سال كامبل :

- هل جئتني بإحدى صنف المساء ؟

- لا .. لقد استلني زيارتي لسجن سنح كل شيء في الدنيا .

فوضع الرجل كتابه على المكتب .. وصاح مغضبا :

- هل ذهبت إلى السجن على الرغم من تحذيري ؟

- نعم .. أنت تعلم أنني رجل يعمل بوحى من ضميره .. وقد سر

أخوك لرؤيتي ، وبعث إليك بتحقيقه ، كما اعتذر لي عن تصرفاتك الجافة .

فاطرق كامبل هنيئة . ثم قال :

- إذا كنت ستعصي أوامري على طول الخط فستسبب لنا كثيرا من

المقاعب بغير شك .

- هذه أول ملاحظة معقولة نطقت بها . إن المقاعب التي تتحدث

عنها ستبدأ من الآن .

- بالتأكيد أنت لم تر أخي لأنه ليس موجودا في سنح .

- سوف يعود إليه قبل انقضاء وقت طويل .. فقد جاء في صحيفة

إيفنج ورلد أنهم قبضوا عليه في ولنجتون .. وسيكون في

استطاعتك أن تستأنف زيارته في السجن قبل انصرام أسبوع ..

وحقق كوين في وجه محدثه .. ولكنه الفاه هادئا جامدا .. بل شد

ما راعه أن رآه يتسم وسمعه يقول :

- هذا ما لا أصدقه .. لأن أخي مخبئ في مكان لا يخطر لأحد ببال .

- ولماذا إذن خدعتني ؟

- كان من واجبي أن أفعل ذلك بعد أن أعرب لي فرائك عن رغبته في

أن يظل مكان اختفائه سرا .. ولكن كان في نيّتي أن أبوح لك به فيما

بعد .. لأن أسباب الحذر كانت تقلي علي أن ...

- وأين هو الآن ؟

- ليس من العقل أن أذكر لك مكانه وربما فعلت ذلك . بل وراقفتك

الفصل الخامس

عندما استيقظ "لويين" من نومه في صباح اليوم التالي وجد "كامبل" جالسا إلى المائدة يتناول طعام الفطور ، وقرأ صحف المساء التي أحضرها له في الليلة السابقة ..

وما كادت الساعة تدق النصف بعد الثامنة حتى رن جرس الباب الخارجي ثلاث مرات .. فأسرع "لويين" إلى غرفة المائدة وقال لـ "كامبل" : - خير لك أن تبادر بالاختفاء ..

فقال الآخر في احتياج ملحوظ : من القادم ؟ ..

- ومن أين لي أن أعرف .. مهما يكن فأنتي لا افتح الباب عادة قبل أن أستوثق من شخصية الطارق ..

كان "لويين" قد أحدث ثقبا صغيرا في الجدار الخارجي يمكنه من رؤية الطارقين .. فمضى إلى هذا الثقب وأطل منه .. وعندئذ تنفس الصعداء وعاد أدراجه إلى غرفة المائدة .. وقال :

- هذا صديق .. ولكن من الحكمة ألا يراك ..

كان القادم "دافيد مور" .. وقد قدم الرجل تقريره لـ "لويين" .. ثم استأنف في الانصراف ..

وتمهل "لويين" ريثما انصرف زائره .. ثم جلس إلى مكتبه .. وأخذ يطالع التقرير .. فما كاد يفرغ من قراءته حتى توجه وجهه .. ذلك أن "دافيد مور" ذكر أن موظفي مؤسسة "ساتون" القدماء قد طردوا من العمل .. وأما الموظفون الجدد فكانوا يعتقدون أن مخدمهم الجديد "جرانت" على حق .. بيد أنه استطاع أن يحصل - من امرأة اسمها مسز "مارتا ويلسون" قضت ثلاثين عاما في خدمة "ساتون" - على بعض المعلومات التي لا يعتد بها ..

وظل "لويين" على تجهمه .. ثم وضع الغلاف في جيبه .. ونهض عن مقعده .. وشرع في نقل قطع الأثاث من أماكنها .. ووضعها لصق الجدران .. وبذلك ترك منتصف الغرفة خاليا .. إلا من السجادة الثمينة ..

- وما كاد يفرغ من عمله حتى أقبل "كامبل" .. فلما رأى ما فعله

إليه بعد أن ترسم خططك ..

- ولماذا لا تريدني أن أراه ؟ ..

- خوفا من أن تغلب على صلابته وتقنعه بالتخفي عما اعترم .. فإما أن تنقذ شرف أسرة "ساتون" من العار الذي لطخ اسمها أو تنزل ضيفا على "سنج سنج" بدورك ..

فصاح "لويين" في حدة :

- قلت لك إنني لا أقيم وزنا لتهديداتك ، بل إنني أشعر بنفور شديد منك .. فقد قررت أن أرحل إلى ديل بيتسن لبضعة أيام .. وقد أقابل "جرانت" في نادي الجولف الذي أنتمي إليه ..

فقال "كامبل" :

- لن يكون من السهل أن تلقاه لأنه رجل شديد الحرص .. ولكي تدخل منزله كزائر ينبغي أن تكون صديقا قديما .. أو حديثا .. وبالتأكيد لست أحدهما .. ولكي تظهر بصداقته ينبغي أن تكون أحد هؤلاء الذين يعاونون زوجته على الاندماج في الطبقة العالية ، لأن مسز "جرانت" لم تتزوج هذا الشاب إلا لاعتقادها أن في استطاعته أن يهيئ لها سبل البروز .. ولكي تظهر بصداقتها ينبغي أن يقدمك إليها أحد أصدقائها أو المعجبين بها .. وهذا مستحيل ..

فقال "لويين" :

- لن أحاول ذلك ، إنما الذي سافعله هو أنني سارغمها على أن تلتصق بصداقتي ، فإن لي من الأصدقاء ما لو سمعت مسز "جرانت" باسمائهم لطار إليها ، فقد تعرفت بالكثيرين من أرباب الملايين الأمريكيين إبان إقامتي في إنجلترا منهم .. وراح يذكر بعض الأسماء الضخمة فبهت "كامبل" ، ونظر إليه غير مصدق ..

- هذه هي الحقيقة ، وفي استطاعتي أن أقابل بعض هؤلاء بل وأستعين بهم على تحقيق أغراضي .. ولئن دعت الحاجة ، فسأستاجر قصرا في حي "سنترال بارك" الأرستقراطي وبذلك تسنح لي فرصة التقرب من مسز "جرانت" ..

فقال "كامبل" معقبا :

- إذا كنت حقا تعني ما تقول فما أحسبك ستلاقي صعوبة ما في هذا التقرب ، لأن مسز "جرانت" امرأة مجنونة بحب الظهور والشهرة .. وهي تسعى إلى محققها لها أينما كانوا ..

لوبيين' صاح في اهتمام :

- لماذا نقلت مقعدي من مكانه ؟ ..

- لم تعد بك حاجة إلى استعماله بعد الآن ..

- لماذا ؟

فهتف 'لوبيين' بغضب :

- إني أعد الحلقة ..

- وما الغرض من ذلك ؟ ..

- لتمثيل مأساة ..

- أنا لا أفهمك ..

فاقترب منه 'لوبيين' .. وقال :

- ستفهمني في الحال .. لقد كنت أبغي مساعدة أخيك وفاء لما له في

عنقي من دين .. أما وقد انقلبت الأوضاع .. فلا مفر لك من أن ترفع

يديك في الهواء لأنني سأضربك ضربا مبرحا .. لقد تأكد لي الآن أنه

ليس للكابتن 'ساتون' أخ ولا اخت .. وما أنت إلا دعي مزيف ..

فاستولى الفرع على 'كامبل ساتون' .. وصاح :

- مهلا !

- قلت لك أرفع يديك ..

وجمع 'لوبيين' قبضته .. ولطم الرجل لكمة فنية رائعة فوق أنفه

وشد ما راعه أن رأى سائلا لرجلا أصفر اللون يعلق بيده ..

واستدار الرجل الذي كان يطلق على نفسه اسم 'كامبل ساتون' على

عقبه وركض بكل قوته إلى الحمام .. وأغلق الباب خلفه .. وفي الحال

أدرك 'لوبيين' أن الرجل يتخذ وجهها مستعارا كاسمه .. وتذكر المعلومات

الخطيرة التي ياح بها لهذا الدعي .. فجن جنونه وأخرج مسدسه من

جيبه .. ومشى إلى الحمام وطرق بابه بمقبض المسدس فصاح

السجين :

- مهلا .. سأخرج في الحال إذا وعدتني بعدم الاعتداء علي حتى

نتحدث ..

- حسنا .. لكن أسرع ..

وعاد 'لوبيين' أدراجه إلى غرفة الجلوس ..

وبعد لحظات فتح باب الغرفة .. ورفع وجهه .. وعندئذ رأى أمامه

وجه صديقه ورئيسه السابق الكابتن 'فرانك ساتون' .. وقال القادم :

- إني مدين لك بالاف اعتذار يا 'لوبيين' ..

فقال 'لوبيين' في اكتئاب :

- نعم .. اظن ذلك ..

وجلس 'ساتون' وقال : لقد كنت أصارك بالحقيقة عشرات المرات

ولكن شجاعتي كانت أبدا تخونني .. لقد قضيت ثلاثة أعوام في 'سنج

سنج' تدريب في خلالها على رسم صورة الأخ الوهمي الذي كنت

انتحل شخصيته منذ قليل .. ثم إنني قضيت الساعات الطوال وأنا

أصلي إلى حديث الدكتور 'ريجواي' إبان إقامتي في السجن

واستطعت أن أقلد صوته ..

فسأله 'لوبيين' :

- ومن هو 'ريجواي' هذا ؟

- إنه الرجل الذي يتزعم طائفة الطبيعيين ..

فلم يتمالك 'لوبيين' نفسه من الابتسام .. وقال :

- أه ! ذلك الرجل الذي صرعه في زنزانتك ؟ ..

- نعم .. لقد كنت أبغضه من كل قلبي .. تصور ما كان يصيبني لو

أن أنفي الحقيقي هو الذي أصابته لكمته الساحقة ؟ ..

فانفجر 'لوبيين' ضاحكا .. وقبض على يد صديقه وهزها بحرارة ..

ثم صاح :

- أنبئني كيف استطعت الفرار من سجن 'سنج سنج' ؟ .. وكيف

تكررت على هذه الهيئة ؟ ..

فاوما 'ساتون' برأسه وقال :

- اعتاد الدكتور 'ريجواي' أن يزورني في السجن بين حين وآخر ..

وكنت قد اعتزمت الهرب .. فانتهزت فرصة إحدى هذه الزيارات

وصرعه .. ولكنني حرصت على ألا تؤذيه اللكمة أكثر مما ينبغي ..

ولما كنت قد درست أخلاقه وحركاته جيدا .. فلم يتعنر علي أن أقلد

مشيته عند مغادرتي السجن .. وبعد أن أمنت النجاة انطلقت من فوري

إلى إحدى دور السينما في 'أوسيننج' وغلب النوم جاري فاخذت

قبعته وتركت له قبة "ريجواي" .. ثم غادرت السينما قبل أن يستيقظ من نومه .. وكان الغسق قد أقبل فمشيت إلى النهر وهناك وجدت قاربا مشدودا إلى الشاطئ فركبته وقطعت به عدة كيلومترات في نهر "هدسون" وتركته عند أحد اندية التجديف وتسلمت إلى النادي .. وهناك استبدلت بثيابي قميصا وبضطلونا خلسة وغادرت النادي بعد ربع الساعة وركبت إحدى سيارات الأتوبيس إلى "فورت لي" ..

وفي صباح اليوم التالي سمعت أن أحد استوديوهات السينما في حاجة إلى بعض الممثلين الثانويين .. فتقدمت إلى المدير وعرضت عليه نفسي فاستخدمني باجر قدره خمسة ريالات يوميا .. واستطعت أن اتعلم فن التذكر في غضون ثلاثة أيام وعولت على أن اتخذ لنفسني هيئة جديدة خاصة هي التي رأيته عليها ..

فسال "كوبين" :

- وكيف دخلت منزلي ؟ بل وكيف عرفت موقعه ؟ ..

- اطلعت على عنوانك في دليل التليفونات ولما حاولت فتح الباب استعصى علي فتسللت إلى المنزل من الباب الخلفي ..

- حسنا .. من الحكمة ألا تغادر المنزل مطلقا وساتيك بكل ما تحتاج إليه ..

- وإلى أين أنت ذاهب ؟ ..

- سأنفذ أولى خططي وأعني بها التقرب إلى "بايسون جرانت" ..

فهز "ساتون" رأسه في أسى .. واستطرد "كوبين" :

- والآن حدثني بقصتك بالتفصيل .. قال :

- يرجع تاريخ لقائي الأول بـ "جرانت" إلى اليوم الذي ذهبت فيه إلى مقاطعة "سان مارك" وقد تطورت علاقتنا بمرضي الزمن حتى أحبيته واطمانت إليه .. ولو عرفت كيف كان بيتي لي الشر لأخذت حذري ولأعرضت عنه .. ولقد ذهب اللعين يثير الغبار من حولي ويقول عني شتى الأقوال ويرميني بالقسوة مع زوجتي وسوء الخلق .. وبدلا من أن يكذب أصدقائي راحوا يعربون عن عطفهم عليها إزاء وحشيتي وقال بعضهم إنه ما كان ينبغي أن أتركها وأسافر إلى أوروبا ..

- من عجب أن لهجتك لا تنم عن الحقد على غريمك .. فهل لم يكذب

حين ادعى بانك حاولت أن تقتله .. ؟

- بل إن هذا الاتهام صحيح .. فأني ما كنت أعرف خيانتة حتى طاش صوابي .. وكم أشكر ذلك الإلهام الذي حال بيني وبين قتله .. لكن ذلك لا يعني أنني صفحت عنه ..

- وكيف أنقذته من السجن .. ؟

- عندما أفلست الشركة التي كان يعمل فيها استخدمته في مؤسستي بدافع من الصداقة التي كانت تربطنا .. ولعلك تعلم أنني كنت وصيا على ابنة صديقي الحميم "موسى" .. وكانت ثروة الفتاة مكونة من ضيعة شاسعة وعدد كبير من الأسهم والسندات .. ولما كنت في حاجة إلى كاتب يشرف على هذه الثروة فقد أسندت هذا العمل إلى "جرانت" لأكفيه مضاضة التفكير في أنني أعطف عليه لقره وفاقتة .. خاصة بعد أن سمعته يتحدث كثيرا عن الانتحار بعد أن أفلست شركته ..

وتوقف "ساتون" قليلا عن الكلام كأنما أمضته الذكريات المريرة .. ثم استطرد بعد هنيهة :

- لقد سرق "جرانت" مبالغ كبيرة من ثروة القاصر .. فاضطرت إلى دفعها من جيبي الخاص .. وصداقته حينما أعرب لي عن ندمه .. وذات يوم سألني أن اتخذه شريكا في أعمالي .. ولما رفضت .. قال إنني بغير شك لم أصفح عن زلته وإلا لأشركته معي .. وراح يتوسل إلى زوجتي لتحقيق غرضه .. وكانت حتى ذلك الحين تزريه .. وتعامله باحتقار .. ولكن اللعين استطاع بأسلوبه المعسول وكلامه المنمق أن يظفر باهتمامها به .. وما لبثت العلاقة بينهما أن تطورت إلى حب عميق انتهى بهذه الكارثة التي حاقت بي ..

فقال "كوبين" في لهجة تشف عن الغضب :

- إنك بالتأكيد لم تذكر هذه الوقائع في أثناء المحاكمة .. وأكبر ظني أنك لم تصارع زوجتك بالمبالغ التي سرقها هذا الأفاق ..

- لقد وعدته بالكتمان بعد أن عفوت عنه .. فقد كنت اعتقد أنه سيبدأ صفحة جديدة من حياته ..

ومضى "ساتون" يتحدث عن "بايسون جرانت" ما يقرب من الساعة ..

الفصل السادس

كان "بايسون جرانث" رجلا من ذلك الطراز الذي لولا المؤثرات الخارجية لما عرفوا معنى الخيانة .. إذ كان ينحدر من أسرة محترمة ونال قسطا وافرا من الثقافة والتهذيب وشب على حب الترف .. والإسراف ..

وقد استطاع الشاب في مستهل حياته أن يصيب نجاحا عمليا مذكوراً .. ولكنه ما لبث أن تدهور وأفلس .. فلجا إلى صديقه "فرانك ساتون" فأولاه هذا عنايته ورعايته واستخدمه لديه .. ولم تكن "ناتيكسا ساتون" تعباً بامر الشاب في بادئ الأمر .. احتقارا لشأنه .. وفقره .. وقد أدرك "جرانث" هذا كله بذكائه فحاول أن يزيل هذا الشعور .. فلجا إلى سرقة "ساتون" .. واستعان بالمال .. وعينيه الساحرتين على نصب شبابه حول زوجة الرجل الذي أحسن إليه .. ورفعته من وهدة الفقر إلى مرتبة الثراء ..

لم تكن "ناتيكسا ساتون" تعرف شيئا عن حادث السرقة .. وأخذ الشاب يزين للمرأة عيشة الترف والسعة .. ولم يأل جهدا في النيل من عناية "ساتون" بها .. وغمطه حق رعايته لها ووضعها في المركز اللائق بين أبناء طبقتها الرفيعة ..

ورحل "ساتون" إلى أوروبا بعد أن سجل كل ثروته تقريبا باسم زوجته .. فنشط "بايسون" للعمل ، فطرد جميع الموظفين الموالين لـ "ساتون" واستعاض بالموظفين أشخاصا من صناعته .. وفرض سلطته على كل شيء حتى زوجة صديقه ..

ولما علم بقرب عودة "ساتون" راح يدبر مؤامرة خطيرة للتخلص منه واتفق لحسن حظه أن عثر رجال البوليس على مسدس محشو في جيب الكابتن عندما نشبت بينهما أول معركة أثارتها علاقة "بايسون" بـ "ناتيكسا" .. ولما كان قانون "سوليفان" يحرم حمل السلاح بغير ترخيص خاص ، فقد حكم القاضي عليه بالسجن سبع سنوات ، أضاف إليها ثلاثا أخرى عقابا له على تهمة التبييد ..

وما كادت الخطوة الأولى من المؤامرة تلاقي هذا النجاح الكبير،

حتى أخذ الثعبان يغري 'ناتيكاً' بالانفصال عن زوجها .. والاقتران به ،
حتى تم له أخيراً ما أراد ..

وهكذا ظفر 'جرانت بايسون' بالمال والجمال .. ثم هرب 'فرانك بايسون' من سجن 'سنج سنج' .. وبدأت متاعب ومخاوف الأول تقضه من جديد ..

وفي إحدى الليالي أفصح 'جرانت بايسون' لزوجته عن مخاوفه فقالت ساخرة :

- يا بني العزيز .. إنك تكاد تقسد علي شهيتي ، ألا تعلم أنني ساقم اليوم مائدة غداء ومن الضروري أن أكون في حالة نفسية مرحة حتى أستطيع الترحيب بالزائرين .. لا تقلق من ناحية 'ساتون' ، فإنني واثقة أنه لن يحاول إيذاك ..

فقطب 'جرانت' حاجبيه وقال :

- إن الموقف أخطر مما تتصورين يا عزيزتي ..

وطرق الباب في تلك اللحظة ، فانتفض 'جرانت' .. وعندئذ ضحكت زوجته وهتفت :

- من المحتمل أن يكون الطارق الأنسة 'دوبين' ، فإنني أتلقى درسا في اللغة الفرنسية لمدة ساعة كل يوم ..

وولجت الغرفة فتاة بسيطة الثياب .. ولكن 'جرانت' لم يتطلع إليها كانت الأنسة 'دوبين' تنحدر من عائلة فرنسية غريقة ، وقد استخدمتها 'ناتيكاً' لتلقنها اللغة الفرنسية والإتيكيت الفرنسي .. إذ كانت تعتزم شراء قصر على مقربة من باريس في العام القادم .. والاستئثار بقلب أحد النبلاء الفرنسيين ..

وغادر 'جرانت' الغرفة بقلب مثقل .. وصدر يضيق بالهموم .. وبقيت 'ناتيكاً' صامتة بضع دقائق .. لقد تظاهرت أمام زوجها بعدم الاكتراث لهرب زوجها السابق .. ولكن الحقيقة كانت عكس ذلك .. فإن أخوف ما تخافه أن يثير فراره من السجن الذكريات المشينة التي اكتنفت القضية .. ففقد عليها تدبيرها للإيقاع بالنبييل الفرنسي الذي توشك أن تصبح جارته .. وكانت 'ناتيكاً' ، قد حدثت مدرستها الأنسة 'دوبين' بكل قصتها .. ولقيت منها عطفًا وتشجيعاً .. فلما انصرف زوجها ..

قالت لها :

- إن 'جرانت' مذعور لفرار 'ساتون' .. ويخشى أن يحاول الاعتداء عليه ..

فقالت الفتاة مطمئنة :

- وفيم الفزع يا سيدتي والقصر كالحصن ؟ ثم لقد مضت ثلاثة أسابيع ولم يظهر لـ 'ساتون' أي أثر .. فهو إما أنه غادر البلاد أو لقي حتفه ..

ولم تخطئ الفتاة في تقديرها فقد أعلن البوليس في اليوم التالي أنهم لم يعثروا لـ 'ساتون' على أثر ورجحوا أنه مات أو غادر البلاد .. وشعر 'جرانت' بكثير من الاطمئنان إزاء هذا التصريح .. ولكنه ظل على حرصه وحذره ..

وذات يوم قالت له زوجته :

- مالي أراك حزيناً هذه الأيام ..

إن 'ساتون' لن يتعرض لك بعد الآن فلم القلق ؟ .. لقد لاحظت أنك تكثر من الشراب في الأيام الأخيرة .. وفي هذا خطر جسيم على صحتك ..

فقال 'جرانت' في اكتئاب :

- هذا صحيح .. إنني شديد الفزع يا 'ناتيكاً' فإن وجود 'ساتون' حراً طليقاً حتى الآن خطر جسيم علي .. متى يأتي الصيف لنرحل إلى أوروبا ونترك هذه البلاد بمخاوفها ومتاعبها ..^{١٩}
فقالت زوجته في برود :

- ولكننا سنقضي الصيف هنا .. فقد دعونا الكثيرين ومن العار أن نهرب منهم .. ثم إنني لا أستطيع أن أذهب إلى باريس قبل أن اتقن لغة أهلها .. وإلا سخرؤا مني كما فعلوا في العام المنصرم .. فتجههم وجه 'جرانت' .. وغادر الغرفة غاضباً ..

الفصل السابع

كان 'لوبيين' يتحدث إلى 'ساتون' عن الخطة التي قرر الأخذ بها لتحطيم أعصاب 'بايسون' والحصول على الاعتراف المنشود عندما جاء 'دافيد مور' لزيارته ..

ولم يكن 'مور' يحمل تقريراً مكتوباً في هذه المرة . وإنما حدث 'لوبيين' بما وقف عليه من معلومات في غرفة المكتب بينما كان 'ساتون' يسترق السمع من الغرفة المجاورة .
قال الزائر :

- لقد تناهى إلي أن مستر 'جرانت' يعاني حالة نفسية شاذة .. وعلمت من سائقه أنه أدمن الشراب في الأيام الأخيرة .. وحرص على إطلاق الكلاب في الحديقة في أثناء الليل .. كما أنه استخدم بعض الأشخاص لحراسة القصر .. وقد سألت السائق عن سبب هذا التطور الشاذ فقال إن سيده يخشى أن يطلق عليه أحد اللصوص النار .
- لا أحسبك سمعت بسبب آخر لهذه الاحتمالات ؟ ..

فاجاب 'مور' في صوت خافت :

- بل سمعت .. فهم يقولون إنه خائف من رجل هرب حديثاً من السجن .. والواقع أنني أشفق على أي شخص تحدثه نفسه باقتحام القصر فهناك أجهزة الإنذار والكلاب والحراس ..

فابتسم 'لوبيين' ونفخ الرجل بورقة من ذات المائة ريال . وشكره .. ثم صرفه .. واجتمع 'لوبيين' بـ 'ساتون' بعد انصراف 'مور' .. وسأله :

- ما رأيك فيما سمعت ؟ ..

- رأيي أن أعصاب 'جرانت' قد تحطمت ..

- وهل كان مدمناً الشراب فيما مضى ؟ ..

- لا .. ولعل امتناعه عن الإفراط هو الذي أبقي له جاذبيته وقوة إغرائه أما وقد بدأ يسرف في الشراب فهذا دليل على شدة ذعره وقلقه .
فقال 'لوبيين' باسمًا :

- سوف احطم قواه تماماً تحت تأثير المخاوف التي تساوره .. إن المشكلة الرئيسية التي تواجهني الآن هي كيف يتسنى لي أن ادخل

قصره كزائر مكرم محترم .

فقال 'ساتون' معقبا :

- نعم .. ما السبيل لتحقيق هذا الغرض؟ ..

- لقد رسمت الخطوة الأولى .. وأرسلت في استدعاء مديرة منزلي

'كيني' لتلقي معك ، لأنني لا أستطيع أن أتركك وحدك هنا دون أن يكون

معك من يقوم على خدمتك ومسّر 'كيني' امرأة طيبة القلب يمكن

الاعتماد عليها .. ولا يخشى جانبها ..

فصاح 'ساتون' مشدوها :

- وإلى أين أنت ذاهب ؟

- سانتقل إلى منزلي في حي 'سنترال بارك' الأرستقراطي حتى

أستطيع أن أنفذ خطتي بسهولة ..

وفي مساء اليوم التالي انتقل 'كوبين' إلى منزل شاب أرستقراطي

يدعى 'ستافورد فان بون' في حي 'سنترال بارك' .. كان يقيم في

إنجلترا في ذلك الحين ..

وقد عثر 'كوبين' في مكتب 'فان بون' على قوائم بأسماء الأندية

الأرستقراطية في المدينة والأشخاص الذين ينتمون إليها .. وجميعهم

من أصحاب الملايين والمراكز الضخمة في عالم الصناعة والتجارة

والمال ..

واخذ 'كوبين' يتصفح أسماء أعضاء هذه الأندية ، وسرعان ما عثر

على الاسم الذي ينشده ، وكان الشاب يدعى 'سويتن ويلد' تعرف إليه

'كوبين' في إنجلترا في أحد مجتمعات الطبقة الأرستقراطية ، وتوثقت

بينهما عرى الصداقة على أثر ورطة مالية وقع فيها 'ويلد' وانقذه منها

'كوبين' ..

وانطلق 'كوبين' لمقابلة الشاب .. واستقبله 'سويتن' في حرارة

وترحيب وقال 'كوبين' :

- لقد جئت لأصرف بعض شؤوني الخاصة .. واستعرت منزل 'فان

بون' ثلاثة أشهر ..

- لقد كنت أوشك أن أخرج لتناول الغداء .. فإذا لم يكن لديك ما هو

أفضل فتمال معي ..

فراقه 'كوبين' .. ولم تمض ساعة على لقائهما حتى عرف من صديقه

أن ابن عمه سيبيع بعض حيائه لأن خطيبته رفضت أن تدعه يعرض

نفسه للخطر بلعب البولو ..

ثم قال 'سويتن' :

- ولكني لا أعتقد أنه سيستمر على ذلك طويلا .. فهو لن يلبث أن

يعود إلى اللعب بعد الزواج ..

وأخرج 'ويلد' مفكرته الخاصة وقلب صفحاتها ، واستطرد :

إن فريق 'مورتيمر' سيتبارى مع فريق من 'ديل بيتسن' بعد ظهر

اليوم .. فإذا لم يكن لديك ما يمنعك من مشاهدة المباراة .. فلنذهب

إليها معا ..

وبعد ذلك بساعتين كان 'كوبين' يجلس بجوار 'جوان بنتلي' وهي

أمرأة من نجوم الطبقة الأرستقراطية .. يحوم حولها أصحاب الملايين

ويخطبون ودعا ..

وسالت 'جوان' 'ويلد' عن صديقه الجديد .. فقدمه إليها بذيول من

الاطراء والتعظيم .. وعقب بقوله : إن مستر 'مارتن ديل' سيبتاع بعض

جياذ ابن عمه 'مورتيمر' ..

واقبلت في تلك اللحظة طائفة من الرجال والنساء ، فالتف الرجال

حول 'جوان' ..

وبقيت النساء على مقربة يرمقنها بعين الحسد والغيرة ، وكانت

'ناتيكاجرانت' إحدى القادمات ..

ولاحظت 'ناتيكاجرانت' أن 'جوان' تولي شابا حديث العهد بها كل

اهتمامها .. فسالت زوجها عنه .. ولكن 'جرانت' أجابها بأنه لم يسبق

أن رأى هذا الشاب من قبل ..

وسمعت 'ناتيكاجرانت' 'مارتن ديل' وهو يقبل دعوة للعشاء في قصر آل

'بنتلي' فادركت من فورها أن الشاب أحد الأفراد المبرزين .. ومن ثم

عولت على ضمه إلى أصدقائها ..

وقد تجاهل 'كوبين' زوجة صديقه السابقة إلى ما قبل انصرافه

بقليل ، عندما قدمته 'جوان بنتلي' إليها ..

وانتهزت 'ناتيكاجرانت' الفرصة ودعت 'كوبين' لثمضية أسبوع في قصرها

الفصل الثامن

استقبلت "ناتيكاً جرائت" ، "أرسين لوبين" مرحبة .. وقادته إلى غرفة فاخرة الرياش تطل على المحيط حيث قدمته إلى بعض ضيوفها .. ثم ذهبت به إلى الجناح الأنيق الذي أعد له ، وكان مكوناً من غرفة جلوس وغرفة نوم واسعة وحمام أنيق .

وما كاد "لوبين" ينفرد في غرفة جلوسه حتى أخرج من جيبه التقرير الذي كتبه له "مور" عن خدم القصر .. وأخذ يقرأ بامعان .

كان كبير الخدم يدعى "ألبرت ثورب" استخدمه آل "جرائت" بعد أن استقال من الخدمة في أحد القصور الكبيرة في "نيويورك" .. وأما مساعده "وليام كارو" ، و "جوان سيراوستون" فكانا أيضاً من طرازه ولكنهما أقل ثقافة .. أما الطاهية فتدعى "ماري كوثور" .. واتخذت "ناتيكاً" من فتاة فرنسية تدعى "أنسة دوبين" وصيفة لها .

قرأ "لوبين" التقرير في اهتمام شديد .. ثم ارتدى ثياب المساء .. ومضى إلى شرفة غرفته .. فاطل منها .. وعندما تحول إلى الباب لينضم إلى باقي المدعوين ، رأى غلغلاً ملقى بأسفله .. فقطب حاجبيه ، وتملكته الحيرة .. ولكنه بدلاً من أن يلتقطه ، فتح الباب على عجل وتلفت في أنحاء الدهليز .. ولكنه الغاء شاغراً .

التقط الرسالة وكانت معنونة باسمه .. وقامل الخط ، فلم يستطع التعرف إليه . بيد أنه أدرك من فوره أن الكاتب إما امرأة أو رجل مثقف .

فص "لوبين" الغلاف .. وهو يتساءل عن الباعث لإرسالها .. وأخرج الرسالة فإذا بها من الورق الأزرق .. وقد احتوت على التهديد التالي بغير توقيع :

"إن شخصاً معيناً في هذا القصر يعرفك ويعرف الغرض الذي جئت من أجله فإذا لم تنتحل عذراً وتستأن في الانصراف بعد تناول طعام العشاء ، وقبل منتصف الليل ، فساشرح لمستر "جرائت" بكل ما أعرفه عنك .. وبالسبب الذي من أجله سعيت إلى الإقامة في قصره .. فإذا أذعنت وانصرفت فسيظل سرك مكتوماً عن الجميع .. وإن لم تدعن

الجديد "ججنسوهن" .

وقبل "لوبين" الدعوة شاكراً .. ونقل النبا إلى صديقه "ساتون" . فقال هذا في أسى :

- إنني أتمنى لك الفوز .. ولو أنني أخشى إلا تجد الطريق أمامك بعيداً . فإن "بايسون" يستعين بطائفة من رجال البوليس السري الخاص للقيام على حراسة قصره والسهر على سلامته الشخصية .. ولعل هؤلاء الرجال يرتدون ثياب الخدم

فقطب "لوبين" حاجبيه وقال :

- إنني لا أخشى أمثال هؤلاء الحراس .. لأنني لن أجا إلى القوة والعنف لبلوغ ماريي وإنما ساتوسل إلى ذلك بيت الغزع والذعر والقلق في نفس "جرائت" .

فقال "ساتون" في حرارة :

- أتمنى لك النجاح يا صديقي .. والله لولا أنني متلهف على إزالة الأوحال التي لطلخت اسمي لما رضيت لك بركوب هذا المركب الوعر أبداً .. ثم لا تنس السجن يا صديقي فهو معرة دونها أية معرة .. طبع نفساً يا عزيزي .. فلن أسمح لأحد بأن يعيدك إلى السجن مرة أخرى ، ولن يهدأ لي بال حتى أعيد إليك شرك المثلوم .

وتصافح الصديقان .

فستسلم حتما للبوليس .

وعض "كوبين" على ناجديه ، وأدرك أن أحد المقيمين في القصر ، إما قد عرفه ، أو وصلته أنباء عن مهمته .

وكانه أن يكون المسرح مهيا ، والنصر مكفولا فيتدخل هذا المجهول ويقلب نجاحه الرائع فشلا بيئا .

كان من المتعذر عليه أن يدرك من عبارات الرسالة مدى ما يعرفه كاتبها عنه ، وهل يعلم أنه إنما جاء إلى القصر ليثار لـ "ساتون" ؟

ولكن "ارسين كوبين" لم يكن بالرجل الذي ينكص على عقبيه أمام التهديد والوعيد .

غادر غرفته ، وهبط إلى غرفة المائدة .. جلس إلى يمين مسز "جرانت" بينما جلس إلى يسارها كهل طويل القامة ، مغضن الوجه اسمه "جيمبرت" ، قالت عنه ربة الدار إنه رجالة كبير ، يهتم كثيرا باكتشاف أبار البترول .

وكانت تجلس إلى يمين "كوبين" سيدة رائعة الجمال ، في ربيع العمر ، تترنن بعقد من الجواهر الثمينة .. اسمها مسز "فيشر" .

وبينما كان الجميع منصرفين إلى تناول الطعام وتجاذب اطراف الحديث .. قالت مسز "فيشر" :

- هل سمعتم بالسرقة الكبيرة التي وقعت حديثا ؟ لقد سرق عقد مسز "ويلد" الثمين .

وتحولت إلى "كوبين" وقالت باسمه :

- بالتأكيد أنت تعرف الـ "ويلد" ولا ريب أنك رايت العقد !

فقال "كوبين" في بساطة :

- لقد عدت من أوروبا حديثا .. وهذه أول مرة تتاح لي فيها فرصة الاتصال بأصدقائي ومعارفي .

وشغل الحادث اهتمام الجميع .. وظل "كوبين" يصغي إليهم .. وما لبثوا أن انتقلوا إلى التحدث عن بعض السرقات التي ارتكبها "كوبين" نفسه .. وراح كل منهم يدلي برأيه .

وقال أحد المدعويين :

- لا ريب أن هذه السرقات الضخمة ارتكبتها عصابة منظمة ،

ولعمري ، لو فكر أفراد هذه العصابة في زيارتنا الليلة لظفروا بغنيمة ثمينة .

فقال "بايسون جرانت" :

- إنك مخطئ يا عزيزي .. لأن جميع منافذ قصري تتصل بأجهزة إنذار قوية ، والكلاب تجوس خلال الحديقة ، وإنني على استعداد لأن أراهن أنه لا يوجد قصر على ساحل "جرسي" توفرت له أسباب الحراسة مثل ما لقصري .

فقال "كوبين" :

- ولماذا ؟ هل تتوقع اقتحام اللصوص قصرك ؟

فاسرع "جرانت" يقول :

- لا .. لكن على المرء دائما أن يلزم جانب الحذر .. خاصة وقد حدثت أخيرا سرقات كبيرة في "سبرينج ليك" .

وتذكر "كوبين" قول "ساتون" : إنه من المحتمل أن يكون "جرانت" قد أدخل بعض رجال البوليس السري الخاص إلى قصره بدعوى أنهم خدم أو ضيوف . فراح يقلب الطرف بين المدعويين ، ولكنه لم يجد بينهم من يصلح لأن يقوم بمثل هذه المهمة الدقيقة .

فرغ المدعويون من تناول الطعام في الساعة العاشرة وصعد "كوبين" إلى غرفته ، حيث أخرج قائمة الخدم التي زوده بها "مور" ، وراح يستعرض الأسماء المكتوبة فيها ، وهي "كونور" و "مبسي" و "ميلر" و "دافيس" و "منون" و "دوبين" و "إلجيت" و "وارنر" و "تومبسون" .

وكان الرجال الثلاثة والآتسة "دوبين" ينامون في القصر بينما يقوم "زيجان" ومساعداه "رويس" و "ساج" بحراسته من الخارج .

واطرق "كوبين" مفكرا .. ولم يلبث أن تهلل وجهه .. وبق الجرس .

فأقبل أحد الخدم ، فقال له "كوبين" إنه يريد أن يتحدث إلى كبير الخدم .

وأقبل "البرت ثورب" بعد قليل . ولما كان سيده قد أنباء أن هذا الضيف من الأفراد البارزين في المجتمع الأرستقراطي .. فقد انحنى لـ "كوبين" في

احترام شديد فأومأ له هذا براسه في كبرياء وقال :

- لقد بعثت في طلبك لأنني اعتقد أنه من واجبك أن تطلع على شهادات الخدم والوصيفات قبل استخدامهن ..

فأصفر وجه الرجل .. وانحنى ثانية في كبرياء ، واستطرد 'لوبيين' :
- أصغ إلي ، عندي من الأسباب ما يحملني على الاعتقاد بأن
شخصا في هذا القصر يريد الاحتيال علي متذعرا بعمل طائش من
نزوات الشباب أقدمت عليه .. ولكنني لست من الذين يهابون التهديد أو
الوعيد . ومع ذلك فإنه يهمني ألا يصل إلى أذني مضيقتي شيء عن
هذه المسألة .. إنني بالتأكيد أصارحك بهذه الحقائق لأنه يبدو لي أنك
رجل محنك عركتك التجارب .
فقال 'ثورب' في لهفة :

- هذا صحيح يا سيدي .. وبم تشير علي ؟

- أريد منك أن تبحث عن شخص في القصر له مثل هذا الخط .

ومزق 'لوبيين' السطر التالي من الرسالة التي وصلته .. 'بعد تناول
طعام العشاء .. وقبل منتصف الليل ..'

وتطلع 'ثورب' إلى ساعته وقال :

- إن الساعة الآن العاشرة والنصف يا سيدي .

فسأله 'لوبيين' :

- إنني أمنحك ساعة للبحث .. وأما الآن فساهبط إلى الطابق الأول
فإذا وصلت إلى أية نتيجة فتعال إلي وقل إن مستر 'سويثن' يريد
أن يتحدث إلي تليفونيا ويرفض أن يصرح بما يريد .. وأعلم أنني
رجل يدفع بسخاء لكل من يقدم إلي أية خدمة أو معونة ..

وبينما كان 'لوبيين' يلعب البريدج مع بعض المدعوين ، أقبل 'ثورب'
وانحنى لـ 'لوبيين' .. ثم قال في صوت مرتفع سمعه الجميع :

- إن مستر 'ويلد' يريد أن يتحدث إليك تليفونيا يا سيدي .. لقد
رفض أن يصرح لي بما يريد .

فاستأن 'لوبيين' من رفاقه وغادر الغرفة إلى قمرة التليفون .. وبقي
بها وقتا ليس بالقصير ذرا للرماد في العيون .. وعندما غادرها رأى
كبير الخدم يضع على مقعد قريب غلافا قد التصقت به الرقعة التي
أعطاهها له 'لوبيين' والتقط هذا الغلاف .. وأخرج الرسالة فالتفها

مؤرخة من شهر مضى ، ومعنونة باسم مسز 'بايسون جرانت' وأما
مرسلتها فكانت 'ماري دوبيين' معلمة اللغة الفرنسية .
وتأمل 'لوبيين' الخط .. ثم قارنه بخط الرسالة التهديدية التي تلقاها
فالتفها واحدا .

سال 'لوبيين' كبير الخدم :

- كيف أستطيع مقابلة الأنسة 'دوبيين' ؟

- من المحتمل أنها أوت إلى مخدعها يا سيدي . إن غرفتها فوق
غرفتك مباشرة .

فقال 'لوبيين' في حزم :

- ينبغي أن أقابلها في التو واللحظة فهل لك أن تقول لها إن مسز
'جرانت' تريدها بضع دقائق ؟

- هذا سهل ميسور يا سيدي . لكن ماذا تقول مسز 'جرانت' عندما
تعرف ذلك ؟

فقال 'لوبيين' وهو يدس ورقة من ذات الخمسين ريالاً في يد الرجل :
- دع ذلك لي .. إنني أرجو أن يتم هذا الاجتماع في غضون نصف

الساعة .

- سيكون لك ذلك يا سيدي فبعد نصف الساعة ستحضر الأنسة
'دوبيين' إلى غرفة جلوسك ..

وعاد 'لوبيين' إلى زملائه وقضى ربع الساعة ، ثم استأن في
الصعود إلى غرفته .. معتذرا بأنه مرغم على كتابة رسالة مهمة
لصديقه 'ويلد' ..

وبعد عشر دقائق سمع 'لوبيين' وقع أقدام في الدهليز .. أعقبها طرق
خفيف على بابه .. ثم فتح الباب .. وقال 'ثورب' :

- ادخلي يا أنسة .

وتقدمت الفتاة بضع خطوات إلى الداخل ، ثم تطلعت إلى الباب
الذي أغلق خلفها في ارتياح .. وقالت :

- هذه خدعة غير لائقة .

ونهض "كوبين" واقفا .. وانحنى للفتاة .. ثم ابتسم .. عرفها على الفور ، وتذكر أنه حين رآها آخر مرة كانت تطلق على نفسها اسم مدام "دي بيليو" .

قالت الفتاة :

- أهى خدعة يا سيدي ؟

فاجاب "كوبين" مطمئنا :

- إنها وسيلة من وسائل الاحتياط لا غير .. اكبر ظني ان كلامنا يتلف على التحدث إلى الآخر تفضلي بالجلوس .

ولم يبد على الفتاة الذعر أو الهلع لوجودها في مثل هذا الموقف الشاذ ، ولا عجب فهو لم يكن الأول من نوعه .. فقد كان لهما معا قبل ذلك موقف شبيه خرج منه "كوبين" بصفقة المغيبون المخدوع .. ولم ينسه بل لن ينساها ما عاش .

فقد حدث أن التقى بها في غرفة مكتب "جستويك" ، في إحدى ليالي الخريف . وكان قد ذهب إلى هناك ليستولي على مبلغ كبير من المال عرف أن المليونير يحتفظ به في خزانته .

كان لـ "جستويك" ابن طائش أحب فتاة تدعى "جراند كورت" تعمل في "كورس" .. واعزم أن يتزوجها .. ولكي يتجنب "جستويك" الفضيحة عرض على الفتاة أن تبعية الخطابات الغرامية التي بعث بها ابنه إليها بخمسين ألف ريال .. وعرف "كوبين" أن المبلغ مودع في خزانة المليونير ، وأن "جراند" ستأتي إلى القصر في صباح اليوم التالي لتأخذ المبلغ في مقابل تسليم الرسائل .. ومن ثم تسلم إلى القصر مدعيا أنه أحد مفتشي البوليس السري . وصرف الخدم إلى مضاجعهم إذ كان مطمئنا إلى أن أصحاب القصر لن يعوبوا من سهرتهم في الأوبرا قبل ساعتين .. وما كاد "كوبين" يدخل غرفة المكتب ويغلق بابها خلفه حتى برزت له الأنسة "دوبين" من خلف إحدى الستائر . وكانت رائحة الجمال في تلك الليلة ترتدي ثوبا فاخرا ، وتزين ببعض الجواهر الثمينة . وقدمت نفسها لـ "كوبين" على أنها

إحدى بنات "جستويك" ثم قالت له إنها ستعفو عنه في مقابل تعهده ألا يعود إلى السرقة والسطو على المنازل .

ولم تنطل الحيلة على "كوبين" .. فهو يعلم أن جميع بنات "جستويك" موجودات مع بقية أفراد الأسرة في الأوبرا .. فلما صارحها بذلك بكت وقالت إنها كذبت عليه . ثم أضافت أنها "استيل جراند كورت" زوجة ابن المليونير . وأنها تنحدر من أسرة لا تقل حسبا عن أسرة زوجها . ولما سألها "كوبين" عن سبب وجودها في القصر في تلك الساعة المتأخرة . قالت إنها جاءت لتقابل أبوي الرجل الذي أحبته ولتبرهن لهما على أنها ليست من بنات الشوارع كما يظنان .. لعلهما يقتنعان ولا يصران على طلاقها من ابنهما .

ورثى "كوبين" لحال المرأة التعسة .. ورق لها قلبه عندما ذكرت له أنه لو استولى على المبلغ المودع في الخزانة فسيعتقد الجميع أنها سرقتها وبذلك يسوء مركزها .. ولا يتم بينها وبينهم أي تفاهم .. وبكت .. وتوسلت إليه ألا يسرق النقود .. فهزته النخوة .. واجابها إلى توسلاتها .

وفي اليوم التالي عرف "كوبين" أنه خدع .. وأن الفتاة لا تمت لـ "جستويك" ولا لـ "جراند كورت" بصلة .. فقد ذكرت الصحف أنها فتاة مغامرة طالما حيرت البوليس بالاعبيها وحيلها الجهنمية .. حتى لقد أطلق عليها بوليس قارة أوروبا اسم "الكونتيس" .

وعض "كوبين" على نأجذيه وقرر أن ينتقم .. وظل يبحث عن الفتاة .. ويتأثرها .. حتى التقى بها في كونج أيلاند متكررة باسم مدام "دي بيليو" .. وذهب لزيارتها ذات يوم .. ولما انصرف من منزلها كان يحمل لؤلؤة يقر ثمنها بستين ألف ريال .. اضطرت الكونتيس أن تنزل له عنها ترضية له .

سألته الفتاة بعد قليل :

- ماذا تريد ؟

- هل تعرف لماذا بعثت في طلبك ؟ ألا يمكنك أن تدركي السبب ؟

- اكبر الظن انك عرفت انني كاتبه الرسالة !
 - اني لاجب كيف تجرؤين على تهديدي .
 - فلننت انك لن تستطيع معرفة الشخص الذي بعث إليك بالرسالة ..
 واملت أن يحملك خطر الافتضاح إلى مغادرة القصر في الحال ..
 - ولكن هانت ترين أنني لم أذعن للتهديد .. فهل لاتزالين مصرّة عليه؟
 - وكيف استطيع أن اتوعد رجلا له مثل تجاريك ؟
 - إذن لم كتبت هذه الرسالة ؟
 - لو صارحتك بالحقيقة لسخرت مني .. إذ كيف تصدق أنني أكل الآن خبزى بعرق جبيني .
 - لو صدقتك لما سخرت منك .. ولكن التصديق ليس بالأمر الهين .
 لقد جئت إلى هنا سعيا وراء مغنم كالعادة .
 فصاحت الفتاة في انفعال :
 - لا .. لا .. هذا ليس صحيحا .. لكن كيف استطيع أن اقنعك بعد أن خدعتك مرة ؟
 وانبعثت واقفة .. ثم استطردت :
 - أنا التي يجب أن تغادر القصر .
 وعجب 'لوبيّن' لتصرف الفتاة .. واستشف الصدق من لهجتها .
 فسألها :
 - ولماذا يجب أن تغادريه ؟
 - لأنني كما قلت لك أعمل لأعيش ! فإذا سرق شيء من القصر .
 فستكتفني الريبة ، وهذا هو باعئي إلى إلقاء الذعر في قلبك لعلك تبادر بالرحيل ..
 فقال 'لوبيّن' في ببطء :
 - لا أزال أجهل ما تعنين .. فإذا أوضحت لي الموقف فستجديني خير من يصغي إليك ..
 - لعلك تذكر أنني كنت مخطوبة لشاب يدعى الكابتن 'مونموت' .

وكنت يومئذ أحترف اللصوصية ، ولكني مثلك لم أكن أسعى إلا وراء الشخصيات الكبيرة .. واستطعت أن أحصل على ثروة ضخمة .
 فابتعت لخطيبي قصرا بائخا .. وبدأت اتطلع إلى المستقبل باسم بعين ملوّهة الأمل والرجاء ولكن خطيبي كان مقامرا ، متلافا ، فتكررت له أسرته ، وساء حاله ، وانتابته الأمراض حتى طحنت جسمه وهدت قواه فرحت أتعهده برعايتي ، وأنفق على علاجه بسخاء حتى برئ من أسقامه .. ولما اقترب موعد الزواج كشفت له عن شخصيتي .. وكنت من الحماسة بحيث أفضيت إليه بكل شيء .. ولو أنني لم أصرح له باسماء الأشخاص الذين سرقت جواهرهم وأموالهم !! فهل تدري ماذا قال ؟ " لقد مات الآن ، وقضى الأمر .. فلا ضير علي إذن من ذكر ما قال .. قال لي إنه كان ضابطا في خدمة جلالة الملك ، وهو يربأ بنفسه أن يتزوج لصة .. ومات وهو يحتقرني ويزدريني ..
 وأدرك 'لوبيّن' من لهجتها أنها صادقة .. وهز رأسه في أسى ..
 واستطردت الفتاة :
 - إن الله أير بعباده من أن يدعم نهبا للآلئ المستمر ولابد أن يهبني الأمن والسلامة يوما ما . على الإنسان دائما أن يدفع ثمن ما تقدمه يده .. ولكني لا أستطيع البقاء هنا ولا مواجهة تحقيق البوليس ، لأن ذلك سيؤدي حتما إلى إدانتني ، والحكم علي بالسجن أعواما طويلة .
 وهذا أمر أقزع منه كل الفرع .
 فقال لها 'لوبيّن' مطمئنا :
 - إذا كنت تشعرين بالسعادة في هذا القصر ، فليس هناك من سبب يحملك على الرحيل عنه . فإنك ستكونين بمنجاة من تحقيق البوليس لأنني لن آتي فعلا ما يستدعي تدخلهم .
 فقالت مبهوتة :
 - أنا لا أفهمك ! .. فهل لك أن تفصح ؟
 فابتسم 'لوبيّن' .. وقال :
 - إنني جئت لشؤون عملية وليس للسرقة .

فقال في بطنه :

- لعلك لا تعني أنك طلقت هويتك السابقة .

- نعم .. ولن أطلقها .. صفوة القول أنني لم أت إلى هنا للسرقة .. وإنما لمعاقبة أحد الأشخاص عقابا تقتضيه العدالة .. عقابا لا يمكن إلا أن تسلم به الضمائر الحية .. وما أحسب إلا أنك ستقرينني لو عرفت الحقيقة ..

فسأله في لهفة :

- وهل أستطيع مساعدتك ؟

- نعم .. عودي إلى عملك ولا تلقي بالك إلي .. ونلقي أنني لن أقدم على ما يسووك ..

فاغرورقت عينها بدموع الفرح وهتفت :

- شد ما يسرنني أن أسمع ذلك .. أكبر ظني أنك جئت لتتار من امرأة اعرضت عنك بعد أن وهبتها قلبك ؟
فأدار "لوبين" وجهه كي لا ترى الفتاة الابتسامة الساخرة التي ارتسمت على شفثيه .

وطرق الباب في تلك اللحظة . ودخل "ثورب" ليقول : إن حفلة الرقص قد بدأت . وأن ربة الدار ترجو مستر "مارتن ديل" أن ينضم إليهم .

الفصل التاسع

ماكاد "لوبين" يهبط إلى حلبة الرقص حتى خفت ربة الدار إليه . واستقبلته بترحيب شديد .. ولما بدأ الأوركسترا يعزف أدرك أن قواعد اللياقة تحتم عليه أن يطلب إلى مضيفته مراقبته .. وقد دار عدة مرات في القاعة . ثم لاحظت مسر "جرانت" أن "لوبين" يقرب الطرف بين المدعويين متاملا فقالت :

- لا ريب أن هؤلاء القوم لا يثيرون اهتمامك .. لقد كنت أرجو أن يأتي بعض الشباب المرح . وبهذه المناسبة .. أخشى أن يكون مستر "جمبرت" قد ضايقك في أثناء العشاء بفضوله ؟

- لا .. بيد أنني استطعت أن أستنبط من حديثه أنه من هواة البحث الجنائي .. أو لعله من المحققين ؟

وسدد النظر إلى مضيفته في انتظار إجابتها . وهل ستلجأ إلى الكذب أم ستقرر الحقيقة . ولكنه راها هادئة كل الهدوء . وقالت في صوت هادئ مترن الثبرات :

- من سوء الحظ أنه "الأب الروحي" لـ "بايسون" . ولهذا كان من الواجب علينا أن ندعوه إلى البقاء بعض الوقت .

شد ما أشعر بالضجر الشديد كلما تلفت حولي ورايت هؤلاء الكهول .. الذين لا يعرفون غير حديث المال والأعمال .

أدار "لوبين" بصره نحو الباب . ورأى عملاقا عريض المنكبين تدل هيئته على أنه من رجال البوليس . فلما استفسرها عن شخصيته قالت إنه من زملاء زوجها في العمل .

ولما فرغ الرقص . قدم "جرانت" الزائر الجديد إلى ضيوفه باسم مستر "بيتمان" . وقال إنه جاء ليعاونه في بعض أعماله الخاصة في مناجم جنوب أمريكا . ولكنه ما كاد يقول ذلك حتى لاحظ "لوبين" أن "ناتيك" قد قطبت حاجبيها . وأما "جمبرت" فقد تطلع إلى مستر "بيتمان" في ارتياح ثم انتحى به ناحية وراح يمطره بوابل من

الأسئلة. وبعد هنيهة اقبل 'جمبرت' على 'لوبين' وقال له :

- لقد اثار هذا الرجل اهتمامي ، لاني والى انه اجهل من دابة في الشؤون المالية بخلاف ما يزعم 'جرانت' .

ومع ان 'لوبين' كان يعتقد جازما ان 'بيتمان' إما أحد رجال البوليس العاملين او موظف في مكتب من مكاتب البوليس الخاصة فإنه لم يكن يود ان تكتشف شخصية الرجل سريعا .

وسمع 'لوبين' اسمه يذكر 'مارتن ديل' . ولكنه لم يجزع بقدر ما انتابه القلق من ناحية (الكونتيس) . فلو كان مستر 'بيتمان' من رجال البوليس حقا ، فإنه سيبدأ حتما بالاطلاع على شهادات الخدم والوصيفات ، وقد يؤدي اطلاعه هذا إلى كشف النقاب عن ماضي الأنسة 'دوبين' .

واقبل مستر 'جرانت' ومستر 'بيتمان' في تلك اللحظة على 'لوبين' . فقال هذا مازحا :

- الحق انه ماكان ليجول بخاطري انك من رجال التجارة !

فتامله 'بيتمان' بعين الارتياح ، وقال متظاهرا بالمرح :

- لن اتحدث الليلة في العمل . فقد قررت ان ابداه غدا .. نعم غدا .

وانصرف على عجل .. وبعد قليل بدأ المدعوون في الانصراف إلى غرفهم .. وما كاد 'لوبين' يستقر في غرفة جلوسه ، حتى طرق الباب . ودخل مستر 'جمبرت' .

صاح القادم في انفعال :

- انهم لن يستطيعوا ان يخدعوني . لقد غاب عنهم انني كنت قناصا هذنيا . فهذا الرجل 'بيتمان' ليس إلا من رجال البوليس .. وقد استدعته 'تاتيكيا' حتى لا تجد العصاية التي اقتحمت معظم قصور هذه المقاطعة فرصة للسطو على قصرها .

فقال 'لوبين' باسم :

- هذا امر يدعو إلى الاهتمام . اجلس ، ودخن لفافة تبغ .

جلس 'جمبرت' ، وأشعل لفافة ثم قال :

- إن لي بصراً ثاقبا .. لقد قالت لي مسز 'جرانت' إن المدعوات يتزين بجواهر تقدر قيمتها بمليون ريال .. ولما كانت تخشى الفضيحة فقد جاءت بهذا الرجل ليقوم على حراستها .

فقال 'لوبين' في هدوء :

- أه لعل الرجل قد حصر ربيته في شخص معين ؟

- بالتأكيد . وقد صرح بأنه يعتقد ان جميع السرقات التي وقعت في هذه المقاطعة كانت اعمالا داخلية . وسمعتة يسأل 'تاتيكيا' عن معلوماتها فيما يختص بكبير الخدم ومساعديه . وتالقت عيناه واستطرد :

- بودي لو تتيح لي الفرصة مشاهدة إحدى هذه السرقات الكبيرة .

- قد لا تتاح لك الفرصة على الإطلاق ، لأن نسبة السرقات التي تقع ضئيلة جدا بالنسبة إلى مجموع هذه القصور .

- ولكن هذا القصر اشبه بمغناطيس . ولو كنت ممن ينتمون إلى عالم اللصوص لحاولت ان احصل على دعوة بالمجيء إليه .

ونفض 'جمبرت' .. وحيا 'لوبين' وانصرف .

وفي صباح اليوم التالي . بعث 'لوبين' بالرسالة التالية إلى الأنسة 'دوبين' مع كبير الخدم :

'الزمني جانب الحذر الشديد . لأن في القصر رجلا من رجال البوليس يطلق على نفسه اسم 'بيتمان' . وهو يزعم انه صديق مستر 'جرانت' ومن رجال الاعمال . ينبغي ان اراك في اقرب فرصة . فقلولي لحامل هذه الرسالة متى يمكنك الحضور' .

انزعجت الفتاة عندما تلقت هذه الرسالة . ولكنها تحولت إلى 'تورب' . وقالت :

- سأحدث إلى مستر 'مارتن ديل' في الساعة العاشرة . وعندما ذهب 'لوبين' إلى غرفة المائدة ليتناول طعام الغطور إلى 'جمبرت' قد سبقه إليها .

قال 'جمبرت' :

- لقد لاحظت أن بيتمان لم يغمض له جفن طول الليل ، فقد كان يذرع الممر بخطى حذرة .. وقد يكون من نافلة القول أن انوه بمدى حرصه . فقد تعقبته اليوم إلى شاطئ النهر ، ورايته يتعهد لنشأ بخاريا اخفاء بمهارة في بقعة على الشاطئ ولما أبرزت له نفسي انزعج ولكنه اضطر إلى أن يصرح بأنه رأى الاحتفاظ بهذا اللش استعدادا للطوارئ . ولم يهدأ له بال حتى وعدته بالكتمان التام .

فقال "لوبيين" ساخرا :

- ومع ذلك فإنك لم تتمسك معي بهذا الكتمان !

فصاح الكهل في انفعال شديد :

- الواقع أنني اعجبت بك يا بني .. وما أحسبني ارتكبت شططا . واقبل المدعوون في تلك اللحظة . فقطعوا عليهما الحديث .. ولما اكتمل عددهم .. ولم يات بيتمان .. قالت ربة الدار إن الرجل يتناول في غرفته طعاما خاصا تبعا لإرشادات طبيبه الخاص .. ولكن هذا التفسير لم يقنع "لوبيين" وإنما أيقن أن الرجل يتجول في ابهاء القصر وبها ليژه ليقوم على حراسته .

وفي الساعة العاشرة جاءت "دوبيين" لزيارة "لوبيين" في غرفته .. ولاحظ الشاب أن الفتاة هادئة تمام الهدوء .. متمالكة جاشها .. وقد تلاشت من وجهها علامات اليأس التي كانت تكسو ه في الليلة السابقة .

قالت :

- ينبغي أن أنصرف بعد عشرين دقيقة على الأكثر لكي أعطي مسر "جرانت" درسا في اللغة الفرنسية .. الحق أن رسالتك أزعجتني كثيرا . - لقد أردت أن أفتح عينيك لكل خطر محتمل .

فقالت الفتاة في اكتئاب :

- إن الخطر موجود دائما بالفعل .. متى جاء هذا الرجل ؟ - أمس .. وقد سمعت أنه قضى الليل كله ساهرا على حراسة القصر .. وقد أردت باستدعائك أن أنصحك . اللهم إلا إذا كان من رجال

البوليس الرسمي ..

- وكيف استطيع تمييزه من بين سائر الضيوف ؟

فوصفه لها وصفا دقيقا .. وعقب قائلا :

- والواقع أنني شعرت منذ النظرة الأولى بتفوق غريزي نحوه .

فارتسم الجزع على وجه الفتاة .. وقالت :

- هل تعتقد أنه جاء في أثرك ؟

وشعر "لوبيين" بالعطف عليها عندما راها تهتم بسلامته .. وقال :

- لا أفن ذلك ..

وتطلعت الفتاة إلى ساعتها .. وتهيأت للانصراف .. فقال "لوبيين" :

- لا يجدر بك أن تنصرفي قبل أن تلقي نظرة على "بيتمان" .. إنه موجود الآن في الحديقة .. وأكبر ظني أنه يتطلع إلى هنا ..

وأخرج من درج منضدة الزينة منظارا مكبرا .. فتناولته "الكونتيس" ووضعت على عينيها ثم قالت :

- لقد أولانا ظهره .. نعم .. إن هيئته تنبئ بأنه من رجال البوليس وسأحاول ما استطعت أن أتجنبه ..

وانصرفت الفتاة إلى جناح مسر "جرانت" .

وشد ما راع الأنسة "دوبيين" أنها رأت مخدمتها تبترها في هذا الصباح بحديث مزعج عن السرقات . وعن لصوص الجواهر وما تكس تحت سقف بيتها من الجواهر في تلك الأيام . ثم عقيت بذكر وجود مسر "بيتمان" للسهر على سلامة جواهر المدعوات .

وفجأة التقطت ربة الدار سماعة التليفون . ثم قالت لمحدثتها :

- أبعث بمسر "بيتمان" إلي في الحال يا "ثورب" !

وغاص قلب "الكونتيس" بين جنببيها حين قالت لها مسر "جرانت" :

- لقد خبرت الحياة يا عزيزتي . فقول لي ما رأيك في هذا الرجل ؟

وخشيت الفتاة أن تكون مسر "جرانت" قد نصبت لها شركا .. وأسقط في يدها .

وبعد هنيهة طرق الباب .. وولج مسر "بيتمان" الغرفة ثم انحنى

لمسز جرائت .

ورائه الانسة 'دوبين' في المراه .. فقد كان ظهرها إلى الباب
وحرصت على أن تظل في هذا الوضع حتى لا يرى الرجل وجهها .

بيد انها لاحظت بعد قليل أن الرجل يتأمل صورتها في المراه .. وفي
التوسرى الذعر إلى قلبها . ولا سيما وقد خامرها يقين بانها رأت هذا
الرجل قبل الآن . بيد انها لم تستطع أن تتذكر متى وأين كان ذلك ؟ ولو
انها كانت واثقة أنه ليس من رجال العدالة .

واصغت 'دوبين' إلى صوت الرجل في اهتمام شديد عندما سألته
مسز جرائت :

- هل تراقبه عن كثب ؟

فاجابها :

- إنه قلما يغيب عن ناظري يا سيدتي .. لعلك استدعيتني لتصدري
إلي أوامر جديدة ؟

- لا .. ليس لدي غير ما قلته لك .

وأومات إليه براسها .. فأنصرف .

وسالت مسز جرائت مدرستها :

- مارايك فيه ؟

- إن الأثر الذي تركه في نفسي غير محمود .

- أن له وجه مجرم . ولكن الملاحظ أن أقدر رجال البوليس بدعوا
حياتهم لصوصا .

- وهل أنت مطمئنة إليه ؟

- نعم . فإن له مكتباً في نيويورك . واسمه مدون في دليل
التليفونات .

فاطرت 'دوبين' براسها . وعلى الرغم من الجهود الجبارة التي
بذلتها فإنها لم تستطع أن تتذكر الظروف التي رأت فيها هذا الرجل
من قبل .

وعندما عادت إلى غرفتها كانت لا تزال تقدح زناد فكرها على غير

جدوى .

ولما اعياما التفكير انصرفت إلى القراءة .. فلما كانت الساعة
الخامسة استدعت 'تورب' وطلبت إليه أن ينبئ مستر 'مارتن ديل'
بانها ستزوره في الساعة السادسة .

وفي الموعد المحدد انطلقت لمقابلة 'لوبيين' خلسة .

قال للفتاة باسم :

- يبدو لي من هينتك أنك شديدة القلق . لكني لا اعتقد أن في الأمر
خطرا ما .

- أخشى أن تكون مخطئا .. لقد رأيت مستر 'بيتمان' هذا من قبل .

إن مسز جرائت استدعته إلى غرفتها هذا الصباح . ومنذ النظرة

الأولى أيقنت أنني رأيته فيما مضى ولو أنني لا أستطيع أن أحدد

ظروف لقائنا بدقة . ولو أنه من المحتمل أن تكون هذه المقابلة قد

وقعت في مونت كارلو منذ عهد بعيد .. على أنني أرجح أنه ليس من

رجال البوليس .

فقطب 'لوبيين' حاجبيه وقال :

- مما يؤسف له حقا أنك لا تستطيعين التذكر . وعلى كل حال إن في

وجود هذا الرجل هنا خطرا عليك سواء كان من البوليس أم من

المجرمين . على أنه إذا كان مجرما فقد يضطر إلى التزام الصمت

خشية أن تقضحيه بدورك .

- لكن لنفرض أنه سرق شيئا وهرب . ألا يجعلني ذلك موضع ريبة ؟

- إذا كان لصا ففي استطاعتنا أن نحول بينه وبين السرقة .

فصاحت في أسى :

- أه لو استطعت فقط أن أتذكر ؟

- هوني عليك . فساجري الليلة تجربة صغيرة لاستوثق من حقيقة

الرجل .. فاذهبي الآن إلى غرفتك . وعودي لزيارتي غدا في الساعة

العاشرة صباحا .

وبعد انصرافها اتصل 'لوبيين' بالجراج وطلب إليهم أن يبعثوا إليه

بسيارته .

استقل "لويين" السيارة إلى أحد المكاتب حيث ابتاع كتابا عن الجولف .. وعددا من الأغلفة البلاستيك الشفافة التي تستعمل في التغليف .. ثم عاد إلى القصر فارتدى ثياب المساء .. وغلف الكتاب .. وهبط إلى الردهة .. فوجد "بيتمان" وحده .. فتقدم منه .. وسأله :
- هل رأيت هذا الكتاب من قبل يا مستر "بيتمان" ؟
فأمسك الرجل بالكتاب .. وقلب صفحاته .. ثم هز رأسه سلبا .. وقال :

- لا .. فإنني لست من هواة الجولف .

وتأمل "لويين" الغلاف المستعار في اهتمام .. فهتف "بيتمان" :
- لماذا تقامله ؟

- إنك أمسكت الكتاب بعنف .. ولما كان الطقس حارا .. فقد انطبعت بصمات أصابعك على الغلاف .. يا إلهي .. إنها مجموعة مذهشة من بصماتك .. ولو كان لك ماض سيئ .. لما وجد رجال البوليس أية صعوبة في التعرف عليك .. ولما ترددت في قلبي لتسترد هذه البصمات أما وانت رجل محترم .. فما أحسبك تخشى شيئا .
فقال الرجل وهو يحاول أن يخفي جزعه :

- نعم .. هذه نظرية فذة .. لكن من أين لك العلم بهذه المسائل ؟

- لقد طالعت تفاصيل شائقة في مقال للمفتش "فورد" عن بصمات الأصابع ..

ثم أوما برأسه إلى الرجل وانضم إلى بعض المدعويين وبقي "بيتمان" يتقامله في اهتمام وقتا طويلا .. ثم تسلل من الردهة في هدوء .. وبعد العشاء قال "لويين" لـ "ناتيك" :

- يبدو أن صديق زوجك المالي قد رحل ..

فأالت المرأة باسمه :

- بل سيبقي هنا أسبوعا آخر ..

- إنه رجل شديد الذكاء .. فقد حدثني كثيرا عن الجولف .. فادركت

أنه واسع الاطلاع .

وفي الساعة الثانية صعد "لويين" إلى غرفته .. فلاحظ أن "بيتمان" كان منزويا خلف أحد الأعمدة الضخمة فابتسم ساخرا .. ووضع كتاب الجولف على منضدة في غرفة الجلوس بعد أن نزع منه الغلاف المستعار .. ووضع غلافا آخر غيره يحمل مجموعة عادية من بصمات الأصابع ثم خلع ثيابه .. وجلس على مقعد ذي ظهر مرتفع .. في مواجهة النافذة وأطلقا المصباح ..

وبعد ساعة تقريبا ، سمع "لويين" صوت باب الغرفة وهو يفتح ، فآدار رأسه قليلا ، وعندئذ رأى "بيتمان" يتقدم من المنضدة ويلتقط الكتاب ، وينصرف من الغرفة في حذر تام .

وفي الصباح رأى الكتاب قد أعيد إلى المنضدة ، ولكنه لاحظ أن الغلاف الذي استبدله في الليلة السابقة قد استبدل به غلاف يشبهه وعليه أيضا مجموعة من بصمات الأصابع .

فابتسم ساخرا ، فقد انطلت حيلته على "بيتمان" وكشفت حقيقته .

الفصل العاشر

وفي صباح اليوم التالي قال "لوبين" لـ "توبين" :

- إن الرجل جاء للسرقة وليس لكشف حقيقتك .. ولعل زيارته لغرفتي أمس تؤيد هذا الظن .. وهو رجل واسع الحيلة بغير منازع إذ لو أنه سرق الغلاف المستعار فقط لكان ذلك مدعاة لتساؤلي .. ولو احتفظ بالكتاب كله لكان من المحتمل أن اظن أنني نسيت في الطابق الأرضي وأخذه أحد المدعوين .. ولكنه لجأ إلى سبيل أكثر أمانا .. فاستبدل الغلاف المستعار بأخر شبيه له وترك الكتاب حيث هو .. مهما يكن فقد أدركت الآن أن واجبي يقضي علي بمراقبة هذا الرجل عن كتب والحيلولة بينه وبين ارتكاب أي حادث سرقة هنا ..

فكانت الفتاة مهمومة :

- إن الالتحام بمثل هذا الشرير ليس من العقل في شيء .. كم أود أن يحضرني اسمه ..

فقال "لوبين" مطمئنا :

- ليس هناك ما يدعو للقلق .. وكل ما أشير عليك به أن تتحاشى لقاءه ما استطعت .. وعما قريب يرحل الضيوف جميعا ، ويزول الخطر.

فكانت الفتاة :

- لا اظن ذلك .. فقد نظمت مسرّ "جرانت" عددا من الحفلات ستدعو إليها بعض أصدقائها .. وأنت .. متى سترحل ؟

- لن أرحل قبل أن أطمئن على سلامتك .. أو بمعنى آخر إلى أن يرحل "بيتمان" فاتخذني إذن من أسباب الحذر ما يجعلك في مأمن منه ، وتذكري دائما أن في استطاعتك الاتصال بي في أية لحظة بواسطة "تورب" .

فاغرورت عينا الفتاة بدموع الشكر .. وهزلت منصرفة من الغرفة ..

عادت الأنسة "دوبين" إلى غرفتها بعد أن خلت بـ"تاتيك" جرائت فترة أطول من المعتاد .. ذلك أن ربة الدار حدثتها عن أمالها حديثاً مستفيضاً .. وكيف خابت في زوجها الأول الكاين "ساتون" .. وعن زوجها الثاني وكيف أنه أسرف في الفترة الأخيرة في الشراب .. ثم كيف كانت تشعر بخيبة الرجا لأن أحدهما لم يحقق أطماعها في الوثوب إلى منزلة رفيعة في مجتمعهما الراقي .. وحاولت الفتاة أن تصرف بعض الوقت في القراءة .. ولكنها شعرت بالضجر الشديد عقب قراءة الصفحة الأولى ..

فجلست إلى النافذة تتأمل أمواج المحيط وهي تتكسر على الشاطئ وفجأة ولما هي سابعة في بحر من همومها ومناعبها .. إذا بها تسمع طرقاً خفيفاً على الباب .. فانتفضت .. ونهضت إلى الباب .. وفتحته .. وإذا بها وجها لوجه أمام "بيتمان" .. ولم تخنها شجاعته .. فقد كانت تعلم أن "دوبين" من خلفها يشد أزرها ويدفع عنها الخطر .. فقالت في هدوء :

- الديك ما تريد أن تسألني عنه ؟ ..

فرفع إصبعه إلى شفثيه محذراً وهتف : اخفضي صوتك .. ودفعها جانباً .. ونفذ إلى الداخل .. وأغلق الباب خلفه .. ثم تقدم إلى مقعد بجوار النافذة .. وجلس .. وبعد أن أشعل لفافة تبغ قال باللغة الفرنسية ، وعلى شفثيه ابتسامة خفيفة :

- ألم تعرفيني حتى الآن ؟ ..

وهبط الوجهي على الفتاة فجأة .. فصاحت :

- أه ! أنت "بيير روليش" ! ..

وتدفقت الذكريات إلى ذهنها .. وتذكرت أنها لم تر الرجل أكثر من مرتين ، ولو أنها سمعت أصدقاءها السابقين يتحدثون عنه كثيراً .. كان ذلك الرجل بمثابة مرشد لأصدقائها إذا رأى رجال البوليس يحومون حول الأمكنة التي كانوا يرتادونها .. ولكن هذه العصابة

الراقية ما كانت تسمح لـ"بيير روليش" بحضور جلساتها أو الاشتراك في مناقشاتها ..

كانت تلك العصابة مكونة من عدد محدود من الرجال والنساء .. وقد استطاعت في شهور الشتاء منذ أعوام خلت أن ترتكب عدداً من السرقات في الريفييرا ، وخرجت من هذه السرقات بجواهر تقدر قيمتها بثلاثة ملايين من الفرنكات ..

وشاء حظ "روليش" التمس أن يشتبك في معركة حامية مع أحد رجال البوليس .. أسفرت عن قتل الأخير فقبض على القاتل ، وحوكم .. وحكم عليه بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة .. ولما طال أمد الصمت قال "بيير روليش" :

- إنك لا تذكريني كما أذكرك .. فإنني أذكر مثلاً أنك كنت تعرفين في الموسم الذي التقينا معاً فيه باسم "الأميرة سوينوفيسكي" وأذكر أيضاً أنك كنت تعتبرين اقتراب رجل مثلي منك إهانة بالغة .. وانفجر الرجل ضاحكاً .. ثم استلرد في سخرية :

- لكن لم الاحتقار أيتها الأميرة "سوينوفيسكي" ؟ ! ألا تربطنا رابطة الزمالة ..

فقالت الفتاة في هدوء عجيب :

اجئت إلى هنا للبحث عني ؟ ..

- لم أكن أعرف أنك هنا .. إنها المصادفة التي جمعتنا .. ولا شك أنك تتساءلين كيف هربت من السجن ؟ .. وكيف الممت كل الإنعام باللغة الإنجليزية .. ؟

ثم نهض .. وخلع معطفه .. ثم عاد إلى الجلوس .. واستلرد :

- من دواعي سروري أن تجمعني الأقدار مرة أخرى بصديقة ..

- ولماذا تدعوني صديقة ؟ ..

- كان الأنسب أن أقول منافسة ..

- حتى هذا ليس صحيحاً ..

- أكذبني ما طاب لك الكذب .. ولكنك لن تستطيعي خداعي ، فاي

سبب غير السرقة يملك على دخول منزل كهذا ؟

- إنني أعمل لأعيش كأي امرأة شريفة .. ألم تات إلى هذا القصر
للسبب عينه ؟ ..

فقدت 'بيير روليش' ببقية لغافة التبغ من النافذة . وضحك
ساخرا .. ثم أجاب :

- يا لك من امرأة ! إنني بغير شك رجل شريف وفي استطاعتي أن
أطلعك على الوثائق التي تثبت ذلك .. ولكنني تريت عامين في انتظار
أن تواتيني مثل هذه الفرصة فلما لاحت أخيرا وجدت فيك أسوأ
منافسة .. ولو أنك كنت رجلا لقتلتك بغير رحمة وبغير إبطاء كي لا
تعترضني سبيلي .. ولكنك امرأة ، وامرأة جميلة .. فمن الحكمة إن أن
تشكريني لأنني ساعفو عنك ..

فرمته بنظرة تنطوي على الاحتقار ، وقالت :

- ولماذا أشكر ؟ ..

- لأنني رضيت بالسجن دون أن أذكر أسماء شركائي ..

- ولماذا لم تذكرهم ؟ ..

- لأنني أريد شيئا معينا من كل فرد منكم .. فهناك مثلا ذلك
التمساوي 'جراف فون شونبرن' .. كنت أخره كمورد للمال إذا أتيت
لي الهروب من السجن ، وذلك الإنجليزي الذي كان وصيا عليك أعني
الكولونيل 'أولجفي' ، صحيح أنه كان مقامرا ، ولكنه كان سخيا أيضا
بيد أنني لم أكد أظفر بالحرية حتى فقدت أثر الرجلين معا .. ومن
يبري لعلهما لقيتا حتفهما .. وحقق الرجل إلى وجه الفتاة بقحة
واستطرد : ولكنني كنت سعيد الحظ .. فعثرت عليك أخيرا ..

- إذا كنت في حاجة إلى المال فقد نضب مني معينه .. وإذا أردت
المعونة فإني أرفض أن أقدمها إليك ..

- إنكم معشر الأرستقراطيين قوم متعجرفون .. لكن اعلمي أنني كنت
في بدء حياتي صياد سمك ، ووقعت في حب امرأة ، ورحلت إلى
بروكسل في أثرها .. فلما سخرت مني قتلتها خنقا .. فلا تلجئني

إلى استعمال هذه الوسيلة المخيفة معك يا أنسة 'دوبين' ..

وأشعل الرجل لغافة أخرى من التبغ .. ثم استطرد :

إنني لست في حاجة إلى مساعدتك .. فقد أعددت لكل شيء عدته ..
وإذا لم يكن معك مال ، فهذا أيضا لا يضيرني في شيء ، ولكنه لا
يعفيك من الوفاء بالدين الذي تدينين به إلي ..
فصاحت الفتاة في غضب :

- إنك تهذي يا 'بيير روليش' .. فإنا لا أدين لك بشيء ، ولكن ثق
أنني لن أعرق عملك ، طالما كان ذلك العمل شريفا .. أما إذا أقدمت على
السرقة فستسبى إلي كل الإساءة .. وعندئذ لن يسعني أن أقف مكتوفة
اليدين ..

فقال الرجل في إصرار :

- اليس دينا إنقاذي إياك من السجن ؟ وهلا يساوي هذا الدين اجرا

كبيرا ؟

- لو كان معي مال لأعطيتك .. أما وأنا لا أحصل على قوتي إلا بالعمل
الشاق .. فلن أستطيع إذن أن أعطيك شيئا .. وإذا كنت قد عاملتني
فيما مضى بكرم وسخاء ، فلماذا لا تظل على كرمك هذا الآن ؟ ..

- لم أكن يوما من الأسخياء .. فالمال كان دائما وأبدا هدفي في
الحياة ..! عجبني لك يا أنسة .. كيف ترتضين هذه الحياة الوضيعة ..
حياة الخادومات .. أنت التي كنت ترفلين في الثواب من النعمة والراء ؟
وهز كتفيه استخفافا واستطرد : ما دامت هذه الحياة تروقك ، فليكن
لك ما تشائين .. ولكن ذلك لن يعفيك من الوفاء بالدين .. فرمته الفتاة
بنظرة باردة ، وقالت في جمود :

- ليس لك علي سلطان حتى تطالبني بالوفاء بدين وهمي ..

فأخرج الرجل صندوق الغائقة ، وأحصى ما فيه ، ثم قال :

- في هذا الصندوق عشرون لغافة .. فعندما أنتهي من تدخينها
فستأتين معي ..

ولم تدر الفتاة مرماه .. ولكنها كانت تعلم أنه لا يلقي القول على

عواهنه .. فإذا هدد فإنه يتخذ تهديده دون اعتبار للعواقب .. قالت:

- هل أنت راغب في العودة إلى فرنسا لتوفي ما تبقى من مدة سجنك ؟ إنهم لا يرفهون هناك عن المسجونين مثلما يفعلون هنا ..

- أعرف ذلك .. فقد خربت الحاليتين .. لا يا سيدتي .. إنني لا أريد العودة إلى فرنسا .. ولن أعود .. ولهذا قضيت الأعوام الخمسة الأخيرة في الدرس والتحصيل وتعلم اللغات الأجنبية حتى حذقت خمسا منها ، لأن اللص المهذب هو اللص الناجح .. واللغة الإسبانية من بين ما تلقيت لأننا ذاهبون إلى إسبانيا ..

- ذاهبون ؟ لا شك أنك أصبت بالجنون يا 'بيير روليش'

- لا يا سيدتي ، لست بمجنون أو ثمل .. إنني أعني ما أقول فانت المرأة الوحيدة التي استطاعت أن تغزو قلبي منذ النظرة الأولى ، وقد عرفتك قبل أن تريني في غرفة مسز 'جرانت' ، ذلك أنني رأيتك تجلسين عند شاطئ البحر تطالعين كتابا ، فاخذت أترقب الفرصة لاتصل بك ، فلما دعنتي مسز 'جرانت' ، واستوثقت من شخصيتك ، خيل إلي أنك تسيتني تماما .. وقد سرتني ذلك ..

لقاطعته في ضجر :

- لقد كاد الليل ينتصف ، وبدا الإعياء ينتابني فإذا لم تبادر بالانصراف فسأستدعي الخادم لإخراجك ..

فابتسم الرجل ساخرا ، وقال :

- قد لا تصدقيني يا سيدتي إذا قلت لك إنني تعلمت الحكمة منذ افترقنا آخر مرة ، فإنني لم أكن لأجرؤ على دخول غرفتك ما لم أكن مطمئنا إلى قوة مركزي .. أن جميع الخدم يعلمون أنني من مقتشي البوليس ، وقد أصدرت إليهم أمرا بأن يناموا في أقصى جناح في القصر ، فإن أردت الفرار ، فالباب مغلق بالمفتاح ، وليس أمامك غير النافذة ، فاقفز منها إن شئت ، فما أجمل أن يجد المرء مضجعه الأخير بين الورد والرياحين ..

انركت الفتاة أنها وقعت في الفخ ، ولكنها حرصت على أن تظل رابطة الجاش ، فتميز الرجل غيظا ، ونهض واقفا ، وجعل يتقدم منها

وهي تتقهقر نحو النافذة فرأت ضوءا أبيض كان ينبعث من قريب ..

قال 'بيير روليش' :

- هذا الضوء ينبعث من مصباح لنشي الأمامي ، وسترافقيني إلى هذا اللنش ، حيث يوجد ستة من البحارة تحت إمرتي ، وغدا أعود في طلب الجواهر التي استأجروني لحراستها ..

- هل تظن أنه في استطاعتك أن تحملني إلى اللنش عنوة دون أن يراك أحد ..

- نعم .. وسترين في الحال كيف أحقق ذلك ..

وقبل أن تستطيع الفتاة الدفاع عن نفسها ، انقض عليها ، وقبض على ذراعها ، ثم وضع قطعة من القطن مبللة بالكورفورم على أنفها ، حتى فقدت وعيها ..

صعد 'لويين' إلى غرفته في تلك الليلة في الساعة الحادية عشرة .. ولما كان يشعر بسام شديد ، فقد جذب مقعدا نحو باب الغرفة المطلة على المحيط .. وجلس عليه .. بعد أن أطلقا المصباح ، وفجأة رأى بقايا لغافة تبغ تكذف من النافذة التي تقع فوق نافذته مباشرة .. وبعد قليل القيت أخرى من النافذة .. فعجب لذلك .. وزاد عجبه عندما أشرفت الساعة على منتصف الليل ، وقد أحصى ما يقرب من اثنتي عشرة لغافة ..

وكانت الريح قد اشتدت .. فكذفت نحوه آخر لغافة .. فنهض ليتجنبها .. فسقطت فوق السجادة الثمينة .. وأحدثت بها ثقبا .. ولكنه أسرع فالتقطها ، وعندئذ وجدها من نوع عرف الفرنسيون بأنهم يولعون بتدخينه .. فقد رأى مستر 'جمبرت' يدخن واحدة منها منذ يومين .. وقد أخبره الرجل أنه حصل عليها من مستر 'بيتمان' .. ومن ثم أدرك أن 'بيتمان' هو ذلك المدخن المدمن .. ولما كان يعلم أن الرجل يشغل غرفة في الطابق الأول فوق باب القصر العام مباشرة ، فقد انتابته الدهشة لوجوده في الغرفة التي تعلو غرفته ، خاصة وقد كان يعلم أن الأنسة 'دويين' تشغلها ..

ونفض واقفا .. وخرج إلى الشرفة .. وأصاح السمع .. وعندئذ سمع شخصا يتحدث بالفرنسية .. وكان المتكلم رجلا .. وفي التو نشط

للعمل .. فتسلق عامودا حديديا كان مثبتا في جدار المنزل .. حتى إذا بلغ نافذة غرفة "لوبيين" .. شم رائحة الكلوروفورم .. ورأى "بيتمان" يشد وثاق الفتاة .. والمقاعد مبعثرة في الغرفة دلالة على حدوث معركة بين الاثنين .. وحمل "بيتمان" الفتاة بين ذراعيه .. وأطلقا النور .. ثم غادر الغرفة ..

وفي لمح البصر ، وثب "لوبيين" إلى داخل الغرفة ، وتسلسل منها إلى الدهليز .. وكان معتما .. ولكنه استطاع أن يسمع وقع أقدام الهارب على مبعدة منه ..

وفتح "بيتمان" الباب العام ، وهو يجهل أن "لوبيين" على بعد أمتار معدودة منه .. ومشى في الحديقة ، وهو يزمع العودة لإعادة تنظيم غرفة "لوبيين" بعد سجنها في إحدى قمرات اللنش .. وبعد أن قطع "بيتمان" نصف المسافة بين القصر والبيخ شعر بثقل حمله .. فتوقف عند أريكة من الرخام مدد عليها الفتاة .. عندئذ أصابته لكمة ساحقة على مؤخر راسه .. فهوى إلى الأرض كتمثال من الصخر .. فاقد الرشده .. وأسرع "لوبيين" يفك وثاق الفتاة .. وقيد "بيتمان" بالحبال وكعمه ، ثم حمله بين ذراعيه وقذف به من فوق سور حديقة القصر المجاورة لقصر آل "بايسون" ..

أحست "لوبيين" ببرودة الماء على وجهها ، ففتحت عينيها ، وسمعت صوت "لوبيين" ، ولكنها تذكرت في الوقت نفسه ما لقيته على يدي "بيتمان" فاستولت عليها الغرغرة ، وحاولت أن تنهض ، ولكن "لوبيين" قال لها في صوت رقيق :

- لا تخافي يا بنيتي العزيزة ، فقد رحل الشقي ..

فصاحت :

شكرا لله ! هل أنت واثق من أنه رحل ؟

- لقد شددت وثاقه ، وقذفت به إلى هذه الحديقة ..

وعاونها على النهوض ، فصاحت في لهفة :

- ينبغي أن أغادر هذا القصر في التو ، لقد عرفني ، ولم يتورع عن مصارحتي بأنه جاء إلى هنا بقصد السرقة ، فإن وشيت به لمسز "جرانت" فسيثار مني حتما ..

- ولكن إلى أين كان ذاهبا بك ؟ ثم لماذا خدرت ؟ ..

فاشارت الفتاة بفزع إلى الضوء الذي كان ينبعث من بعيد ، وقالت :
- أترى هذا الضوء ، إنه ضوء مصباح لنشه ، وقد كان يعتزم الذهاب بي إليه وتركبي في حراسة أعوانه إلى مساء الغد ، لأنه كان مزعما العودة إلى القصر غدا لارتكاب سرقة كبيرة ، حتى إذا تحقق له ذلك ألقه بيخته في الحال إلى جنوب أمريكا ..
وانتفضت ، فقال "لوبيين" :

- ليكني دقت عنقه ، والآن ، من المجازفة أن تعودني إلى القصر ، فما رأيك أن تذهبي إلى منزلي في "سنترال بارك" ؟ ! إن مديرة منزلي امرأة طيبة القلب ، وسوف تجدني هناك زائرا آخر ، هو زوج مسز "جرانت" السابق ذلك الزوج القعس الذي راح ضحية هذه المرأة الطموح ، إنه محتجب عن العالم حتى تصبح الدنيا مكانا آمنا بالنسبة إليه ..

فوافقت بعد إلحاح وحينئذ ، مضى بها "لوبيين" إلى الجراج وأخرج سيارته ، ودفعها زهاء الخمسين مترا بعيدا عن القصر ، ثم أدار المحرك ، وانطلق بها ..

وفي الطريق سألته الفتاة كيف استطاع إنقاذها ، فحدثها بقصة اللغائف ، فحدثته بدورها بما دار بينها وبين "بيير" وختمت قصتها قائلا :

- إنني لا أمن جانبه ، فهو وإن كان لن يستطيع العثور علي ، ولكنه قد يعرفك ..

فقال "لوبيين" بتوكيد :

- لا أظن ذلك ، لأنه لم ير وجهي عندما صرعته ..

وفي الطريق اتصل "لوبيين" بمديرة منزله تليفونيا وطلب إليها أن توقف الكابتين ليستقبل فتاة سيحضرها معه بعد قليل وتعد القهوة وبعض الشطائر ..

عندما استأنفا رحلتهما حدثها "لوبيين" بقصة الكابتين "ساتون" .. وقد استقبلتهما مسز كيني لدى باب المنزل بترحيب شديد .. وكان الكابتين "ساتون" في انتظارهما في غرفة الجلوس ، فحُف لاستقبالهما .. وبعد

أن قام "لوبيين" بمهمة التعارف بينهما قال:

- ستقيم الأنسة "لوبيين" هنا حتى تستقر شؤونها ..

وقالت الفتاة في بساطة :

- إنني مدينة بحياتي لمستر "مارتن ديل" ..

فقال "ساتون" :

- ذلك عهدي به دائما .. فهو يحاول الآن إنقاذ حياتي أيضا ..

فضحك "لوبيين" ، واستأذنت الفتاة لترجيل شعرها بعد أن أفسد

الريح تشييقه فلما خرجت قال "لوبيين" للكاين "ساتون" :

- ينبغي أن تنسخ هذه الوثيقة بخطك ..

وقدم إليه ورقة تحتوي على ست فقرات مكتوبة بالقلم الرصاص، كل

منها مكون من بضعة أسطر ..

وما كاد "ساتون" يقرأها ، حتى أدرك أنها خطابات تهديد موجهة

إلى "بايسون جرانت" فصاح مشدوها :

- أنا لا أفهم معنى هذه الرسائل ..

فضحك "لوبيين" ، وقال :

- أما هو فسيفهمه جيدا .. إن هذه الرسائل لتحطيم أعصابه ..

فكتب "ساتون" كل فقرة على ورقة منفصلة .. تناولها "لوبيين"

ووضعها في جيبه ، ثم قال :

- ساعود إليك قريبا لأطلعك على بشائر هذه الحالة .. وفي خلال ذلك

أرجو أن تسهر على سلامة الأنسة "لوبيين" .. وسأترك لها الحديث عن

نفسها ..

فقال "ساتون" :

- ما أحسبك تعني أنها ممن يعملون ضد القانون ؟ ..

- بل هي منهم .. ولو عرفت كيف استطاعت أن تخدعني لأدركت مدى

ذكائها وسعة حيلتها ..

وأقبلت الأنسة "لوبيين" في تلك اللحظة فقطعت عليهما الحديث ..

وقبل أن ينصرف "لوبيين" ، قال للفتاة :

- اكتبني استقالتك من خدمة مسز "جرانت" ..

وفي أثناء ذلك .. ذهب "لوبيين" إلى مسز "كينني" في المطبخ .. ودفع

إليها برزمة من الأوراق المالية قائلا :

- لقد قلت لي أنك اشتغلت حائكة ثلاثة أعوام .. فخذني إذن مقاس

الأنسة "لوبيين" ولكن لا تدعي لها أن ترى ما تفعلين .. ثم انهبني إلى

أحد الحوانيت المحترمة واشتري لها بعض الثياب الفاخرة ، واقتنعيتها

بارتدائها .. فإني أعرف هذه الفتاة فهي من بنات الأسر العريقة التي

أناخ عليها الدهر بكله ..

وعندما عاد إلى غرفة الجلوس ، كانت الأنسة "لوبيين" قد فرغت من

كتابة استقالتها واعتذرت لمخدومتها السابقة بأن بعض الأمور

العائلية اضطرتها إلى الرحيل بغتة إلى مدينة "سان دييجو" في

كاليفورنيا .. وغادر "لوبيين" المنزل .. واستقل سيارته .. وأطلقها

باقصى سرعتها .. فلما بلغ قصر آل "بايسون" ، أدخل السيارة في

الحظيرة في حذر تام .. ثم تسلل إلى القصر ، ووضع كتاب استقالة

"لوبيين" على منضدة في الرهبة وصعد إلى غرفة الفتاة ، فأعاد

تنظيمها .. ثم جمع حاجاتها ونقلها إلى غرفته ثم ذهب إلى غرفة

مستر "جرانت" ودس إحدى رسائل التهديد التي كتبها "ساتون" تحت

بابها ثم أوى إلى فراشه واستسلم للنوم ..

الفصل الحادي عشر

اعتاد أنتوني ثورب أن يطعم كلاب الحراسة بيده .. ففي صباح اليوم التالي خرج الرجل إلى الحديقة لإطعامها ، ولكن شد ما راعه أن وجدها جميعا ممددة على الأرض جثثاً هامدة .. وأدرك الرجل أن ثم حدثا جليلاً قد وقع ، فمضى يبحث عن مستر بيتمان لينهي إليه النبا ولكنه لم يجده في غرفته .. كما أن فراشه كان منظفا دالة على أنه لم يتم فيه .. ولو عرف الرجل ما حل ببيتمان لذر ، وتولته الدهشة البالغة ..

فعندما أفاق "بيير روليش" من إغمائه وجد نفسه مشدود الوثاق ، ومكهما ، ولكن رائحة الخضر دلت على أنه ملقى في إحدى الحدائق أو الحقول ، وأدرك في الحال أن الرجل الذي صرعه لا يمكن أن يكون رجلاً عادياً ، وأنه شريك للفتاة التي كاد يتجح في اختطافها .. ثم إنه اعتقد أن مجيء الفتاة إلى القصر ، وانتحالها صفة مدرسة للغة فرنسية إن هي إلا حيلة كانت تستر وراءها أغراضها الحقيقية ..

وسرعان ما أدرك أن العثور عليه ملقى في هذا المكان ، مشدود الوثاق ومكهما ، من شأنه أن يضع حداً لأماله .. لأنه سيدل مخدوميه على أنه لا يصلح للعمل الذي أنيط به .

وتذكر "بيير روليش" حادث بصمات الأصابع .. وخشي أن يكون الشاب "مارتن ديل" من هواة محترفي البحث الجنائي ولكنه شعر بالارتياح عندما تذكر كيف انتصر عليه وجرده من مجموعة بصمات أصابعه .. ولو عرف الحقيقة لطار صوابه .

فلما فشل "ثورب" في العثور على "بيتمان" ، دعا أحد مساعديه ، واسمه "ريجان" ، ومضى به إلى الجراج .. وقال له :

- لقد قتلت الكلاب بالسم .. ويقىني أن اللصوص هم الذين فعلوا ذلك ، فابحث في أرجاء الحديقة بينما سأنطلق أنا إلى القصر ، وأفتشه ..

* * *

وفي الساعة التاسعة استيقظ "بايسون جرانت" من نومه على أتم ما

يكون من النشاط ولكنه ما كاد يستوي جالسا في فراشه حتى رأى رقعة من الورق تحت باب الغرفة فدهش . وهبط من سريره . والتقطها في تراخ وكسل .. ولكنه ما كاد يقرأها حتى تهالك على اقرب مقعد ، متخاذل الساقين .. مرتعد الاوصال .. وعاد يقرأ الرسالة : "لا تظن انني غافل عنك .. واعلم انني اقرب إليك مما تظن فانظر الايام السوداء المقبلة .."

ف . و . س .
طغى الخوف على قلب "بايسون" عندما أدرك أن كل أسباب الحذر وأنواع الحراسة التي أحاط نفسه بها لم تفلح في رد "ساتون" عنه ، إذ بماذا يمكن تفسير وجود هذه الرسالة تحت يابه إلا إذا كان كاتبها موجودا فعلا في القصر ؟

والتقط سماعة التليفون ، وقال لـ "ثورب" :

- ابعت إلي بمستر "بيتمان" في التو ..

فاجاب كبير الخدم :

- إن مستر "بيتمان" غير موجود في القصر يا سيدي ، ولم نستطع أن نعثر عليه في أي مكان . فقد بحثنا عنه لأنني عثرت على الكلاب ميتة بفعل السم في الحديقة ، فخشيت أن يكون اللصوص قد سطلوا على القصر ..

فاجفل "جرانت" لهذه الأنباء المزعجة .. وهتف :

- وهل بحثتم عنه جيدا ؟

- لقد فُتشت جميع غرف القصر ، ولكنني وجدت كل شيء على ما

يرام ..

فصاح "جرانت" في غضب :

- ولكنهم دخلوا القصر أيها الاحمق المغفل ولدي ما يثبت ذلك ..

ووضع السماعة في عنف ، ولكنه ما لبث أن رفعها مرة أخرى واستدعاه إليه .

ولما جاء الرجل سألته :

- هل أنت واثق من أن الكلاب ماتت بالسم ؟

- نعم يا سيدي ..

- حسنا .. لا تقل ذلك لأحد حتى يعود مستر "بيتمان" . فابعت به لمقابلتي .

وبعد انصراف كبير الخدم التقى بمديرة المنزل في الردهة فقالت له :
- ما اعجب هذا .. لقد رحلت الأنسة "دوبين" دون أن تاوي إلى فراشها . وعثرت على هذه الرسالة فوق المنضدة الموضوعة في الردهة . وفي تلك الأثناء ذهب "جرانت" لمقابلة زوجته في غرفتها . ودهشت المرأة في بادئ الأمر . ولكن لم يلبث القلق أن استحوذ عليها عندما سمعت نبأ اختفاء "بيتمان" .. ثم ذعرت عندما عرفت بموت الكلاب بالسم . ولكنها قالت لزوجها مشجعة :

- لا حاجة بنا إلى القلق .. فسيعود "بيتمان" بغير شك ..

فقال في اكتئاب :

- إن غيابه لا يزعجني البتة .. إنما اقربي هذه ..

وما كادت المرأة تقرأ الرسالة حتى هتفت :

- إنه بغير شك خط "فرانك" ..

فصاح الرجل :

- وهل في ذلك من شك .. لقد دسها تحت بابي وأنا نائم .. يا إلهي !

ألا ترى يا "ناتيك" كيف كان في استطاعته أن يقتلني لو أراد .. أكبر

الظن أنه حاول فتح الباب ، ولما لم يوفق ترك لي هذه الرسالة .

فقال "ناتيك" في ازدياء :

- على كل حال ، إنك لا تزال حيا فترزق ..

- وهو أيضا حر طليق .. فيجب أن تفعل شيئا وإلا أصابني

الجنون ..

- ولما رأى نظرة الغضب التي ارتسمت في عيني زوجته ، أسرع

يقول : - إنني اعترف بأنني مذعور .. وما أحسبك تلوميني على ذلك .

ما دامت جميع وسائل الحيطة التي اتخذناها لم تجد فتىلا ..

ودق جرس التليفون في تلك الأثناء ، وبعد أن وضعت "ناتيك" السماعة ، رأى زوجها علامات القلق بادية على وجهها ، فأدرك أنها

تلقت أنباء لا تسر .. ولما سألها ما خطبها . أجابته عابسة :

- أنا لا أستطيع أن أفهم ما معنى هذا كله .. لقد رحلت الأنسة

دوبين . وقالت مسز 'برودين' إنها ستبعث إلي بكتاب استقالة تركته الفتاة قبل رحيلها فوق منضدة الريشة .
فصاح 'جرانت' في ياس :

- يا إلهي ! ينبغي أن نستدعي البوليس لتولي التحقيق ..
وجاءت إحدى الوصيفات باستقالة 'دوبين' ، وفيها تعتذر الفتاة عن اضطرابها إلى الرحيل بغثة وترجو إرسال مرتبها إلى عنوانها في 'سان دييجو' في كاليفورنيا ..
فقال 'جرانت' :

- إن الاستقالة لا غبار عليها .. لكن العجيب أنها اضطرت إلى الرحيل على هذه الصورة المفاجئة .. يا لله يا 'ناتيك' ! ألا يجوز أنها رحلت مع 'بيتمان' ؟ إنه ليس أمريكي المولد كما تعلمين .
فامتقع وجه 'ناتيك' . وأدركت أن اختفاء الرجل والفتاة معناه بغير شك أنهما سرقا بعض جواهر ضيوفها ..

وارتدت المرأة ثيابها على عجل .. ثم هبطت مع زوجها إلى غرفة المائدة . وكان المدعوون قد انتظموا حولها .. ولم يذكروا شيئا عن موت الكلاب لأنهم كانوا يجهلون . كما لم يأتوا على ذكر اختفاء 'بيتمان' لأنهم اعتادوا غيابه .. ولم تطرق أحاديثهم غير أبواب السياسة ..
ومع أن 'كوبين' لم يزم إلا وقتا قصيرا ، فإنه حرص على الانضمام إلى المدعوين .. فقد كان يرجو أن يسمع ما هنالك من أنباء عن 'بيتمان' .. وأن يرى تأثير رسالة 'ساتون' التهديدية على 'بايسون' ..
وإذا كان رحيل 'دوبين' قد ترك مجالا للتعليق والتعقيب ..

ولكن 'جرانت' كان يحرص على أن يبدو تام الهدوء .. على الرغم من القلق الخفي الذي كان مستحوذا عليه ..

وبعد أن تناول المدعوون الطعام صعدوا إلى غرفهم .. فزارت 'ناتيك' السيدات منهم في غرفهن .. ولما اطمأنت على حليهن .. سري عنها قليلا .

وعند الظهر عثر البستاني على 'بيتمان' في حديقة القصر المجاور .. ذلك أنه كان يشذب بعض الأشجار عندما رأى الرجل ملقى على الحشائش ..

وكان من حسن حظ آل 'بايسون' أن الضيوف غادروا القصر إلى نزهة خلوية .. وبعد أن ضمد 'بيير' جروحه .. قال لمضيفه إنه ارتاب في وجود بعض الغرباء في الحديقة .. فخرج ليتحرى حقيقة الأمر .. وعندئذ انقض عليه عدد من الرجال وبعد معركة عنيفة استطاعوا أن يصرعوه .

فسأله 'جرانت' :

- هل تستطيع التعرف على أحد منهم ؟

ولكن 'بيير' عجز عن ذلك .. قال فقط إن أحدهم كان رجلا طويل القامة مفتول الساعدين وأنه كان أكثر الجميع نشاطا ..
وما كاد 'جرانت' يسمع ذلك حتى ظن أن هذا الرجل هو 'ساتون' بعينه .

واستأن 'جرانت' ليأخذ قسطا من الراحة ، ولما انصرف . قالت 'ناتيك' لزوجها :

- إن قلبي يحدثنني بأن 'فرانك' لم يكن بين هؤلاء الرجال ، فينبغي إذن أن تبحث عن الوسيلة التي استخدمت لإيصال رسالة التهديد إليك ، لقد اتضح أنني أخطأت حين قدرت أن 'دوبين' رحلت مع 'بيتمان' فما الذي دفعها إلى هذا الرحيل المفاجئ ؟ لعلها جاءت إلى منزلنا للتجسس . ولما كانت قد رحلت في جوف الليل ، والجميع نيام ، أفلا يجوز أنها هي التي وضعت الرسالة التي كتبها 'ساتون' أسفل باب غرفتك ؟

- هذا محتمل ، لكن من الذي صرع 'بيتمان' ؟ لقد وصف لنا 'فرانك' وصفا دقيقا . وهو لم يره من قبل على الإطلاق .

- إن وصفه ينطبق على أي رجل طويل القامة ، ولكن يحتمل أنني أخطأت حين قلت إن 'فرانك' هرب إلى جنوب أمريكا ، مهما يكن ، فلا يجب أن تدع الغزع يحطم أعصابك . فما أحسب إلا أن 'فرانك' رمى إلى إلقاء الذعر في قلبك ، فينبغي أن تقابل تحديه برياسة جاش حتى يدرك أنك غير خائف منه ، ولا سبيل إلى النيل منك .

وإزاء هذه الأقوال المطمئنة سري عن 'جرانت' قليلا . وبينما كان الجميع يتناولون طعام الغداء قال 'كوبين' :

- إنني لم أر الكلاب اليوم ، مع أنها اعتادت أن تطل علينا من خارج باب الشرفة في أثناء الطعام .

ولم يستطع مستر 'جمبرت' أن يمسك لسانه ، فقال :

- لقد سمها شخص معين ليلة أمس ، يبدو أن ذلك من عمل اللصوص . !

فتدخلت 'ناتيك' في الحديث قائلة :

- يسرني أن الأمر وقف عند هذا الحد ، والرأي عندي أن البستاني هو المثلوم ، فلا ريب أنه قدم بعض الحشائش السامة خطأ إلى الكلاب . فقال 'جمبرت' :

- ولكن الكلاب لا تاكل الحشائش .

- ولم لا ؟ يجوز أنها أكلتها خطأ .

وتشعب الحديث ، فقال أحد الضيوف إنه لا يستبعد أن يكون موت الكلاب مقدمة لسطو إحدى العصابات على القصر ، ومن المحتمل أن يعقب ذلك هجوم العصابة في الليلة المقبلة بعد أن خلا لها الجو .

فصاح 'جرانت' في قرع وغضب :

- لا ريب أنك تهذي يا سيدي .

ولكن 'لوين' قال مؤيدا المتكلم :

- أظن أن مستر 'بروستر' لم يتعد المنطق في تقديره .

وقال مستر 'بروستر' في حماس :

- مهما يكن ، فقد قررت أن أنقل جواهر زوجتي إلى أحد مصارف أسبوري .

ولكن زوجة مستر 'بروستر' رفضت أن تأخذ بهذا الرأي ، واحتدمت المناقشة بين بعض الأزواج وزوجاتهم وعندئذ قال رب الدار :

- لا تجزعوا أيها السادة .. فقد أمرت أكثر الخدم بتناوب السهر وحراسة القصر ، كما أعددت أجهزة إنذار قوية .

وصاح مستر 'جمبرت' :

- وأنا أيضا ساقضي الليل في حراسة القصر من الداخل .

ثم تحول إلى 'لوين' ، وقال له :

- وانت ؟

- ساحرسه من الخارج .. فأبني أمقت من يسمون الكلاب .

فتهلل وجه مستر 'جرانت' ، وصاح :

- هذا برنامج عظيم إنني موافق عليه .

وارتاح 'لوين' لهذه الخطوة ، فإن أحدا لن يرتاب فيه إذا رآه يتجول في الحديقة والقصر في أثناء الليل .. خاصة ، وقد كان يعلم من 'دوبين' أن 'بيير روليش' سيقوم بالسطو على القصر في تلك الليلة ..

الفصل الثاني عشر

كان مستر بيتمان يلقي نظرة على البارومتر في الردهة الخارجية عندما مر به "لوبين" فنظر إليه "لوبين" بدوره ، وقال :

- يبدو أن عاصفة توشك أن تهب ...

- هذا ما أخشاه .

- ولماذا تزعجك العواصف ؟

- إن الرعد يسبب لي صداعا .

والواقع أن "بيير روليش" كان يخشى العاصفة .. لأن هبوبها يحول دون اقتراب لنشئه من الشاطئ ؛ أو بلوغه في عرض البحر بقارب صغير .. وقد زاده قلقا اعتقاده أن الرجل الذي صرعه ليلة أمس ليس إلا أحد أفراد العصابة التي تتزعمها "الكونتيس" وأنه من المحتمل أن يكون هذا الرجل له بالمرصاد ..

وكانت ربة الدار قد دعت ضيوفا جدد ، واعتزمت أن تقيم حفلة رقص في تلك الليلة ، ومع أنها أعطت "بيير روليش" قائمة بأسماء المدعوين ، إلا أن هذه القائمة لم تكن كاملة .. لأن ربة الدار ركزت في دعوتها على بعض الأشخاص البارزين أن لهم مطلق الحرية في أن يحضروا معهم بعض أصدقائهم . ولما كان "بيير" يعلم أن شركاء "الكونتيس" القدماء ينتمون إلى الطبقة الأرستقراطية ، فإنه لم يستبعد أن ينس بعضهم بين المدعوين ، ويفسدوا عليه خطته ..

وبعد كثير من التفكير .. رأى "بيير روليش" أنه في حاجة إلى شخص مسلح يرافقه بعد خروجه من المنزل بغنيمته حتى يصل إلى اللنش ..

قال "لوبين" بعد قليل من الصمت :

- إن الزئبق أخذ في الارتفاع .. وهذا معناه تأجيل هبوب العاصفة إلى حين .. وفي ذلك ما يدعو إلى الارتياح .

كان "بيير روليش" يشعر بالنفور نحو "لوبين" .. ولكنه لم يستطع أن يعلل ذلك الشعور .. قال له :

- لماذا تقلقك العاصفة ؟

- أنت تخاف من الرعد .. وأنا أخاف من البرق !!

فقال "بيير" :

- إن الرعد يسبب لي سوء هضم ليس إلا .. وأنت تعلم أنني أعاني الإمساك .. !!

وأقبل مستر "جمبرت" في تلك اللحظة وقال لـ "بيير" :

- خير لك أن تخفي أئمن أشيائك ، فقد يزورنا بعض اللصوص الليلة ..

وبعد تردد ليس بالقصير قال "روليش" :

- ماذا تعني يا سيدي ؟

- ما دمنا نتوقع إقدام بعض اللصوص على اقتحام القصر !

فقد قررنا أن أقضي الليل ساهرا للحراسة ..

فقال "روليش" في برود :

- قد يكون الأمر خطيرا !!

فقال "لوبين" :

- لا أظن ذلك .. إنني ذاهب الآن للسياحة ..

ثم ابتعد عن الرجلين .. فقال "جمبرت" :

- مادمت من رجال البوليس الخاص .. فأنت ملم إذن بحيل رجال

العصابات .. فهل تراهم يسIRON مثنى مثنى ؟

- ليست وسائلهم محدودة .. وإنما الغالب أنهم يتركرون رجلا واحدا

في الخارج للمراقبة .. وفي بعض الأحيان يتركرون اثنين ..

- إن مراقبة الحديقة من عمل مستر "ديل" .. فقد عهد إليه مستر

"جرانت" بهذه المهمة ..

فقال "روليش" وهو يتكلف عدم الاهتمام :

- أرجو أن تزيدني إيضاحا ..

فذكر "جمبرت" الحديث الذي دار حول مائدة الغذاء .. وسقط في يد

"بيير" فهو لم يكن يقيم وزنا لحراسة "جمبرت" .. أما وجود شاب مثل

مستر "مارتن ديل" خارج القصر فامر سيسبب كثيرا من المتاعب بغير

شك ، وراح يلعن "الكونتيس" ويلعن نفسه .. فلو أنه تركها وشأنها ،

لما حدث ما حدث ..

وبينما كان يسير على مقربة من الجراج .. رأى "لوبين" يخرج سيارته .. فقال له :

- هل ستعود ؟

- بالتأكيد .. إنني فقط ذاهب إلى "اسبوري" لشراء ثوب استحمام ..

هل تريد أن ترافقني ؟ ..

فاجاب "بيير" :

- هل نسيت أنني مضطر إلى البقاء لأداء واجبي ؟

وبعد ساعة ذهب "روليش" إلى الحمام .. فوجد "لوبين" يسبح .. ولما

اطمان إلى صدقه كر راجعا إلى القصر ..

وأما "لوبين" فكان يرمي من السباحة إلى التحقق من مدى غور الماء

على مقربة من القصر .. ولم يلبث أن أدرك أن البقعة المقابلة تصلح

لرسو اليخوت واللنشات ..

فلما عاد إلى القصر لم يجد أغلب المدعوين ، إذ كانوا يلعبون

الجولف ، وفقط وجد "كاترين هولاند" واقفة في الشرفة فانضم إليها ..

سألته :

- هل حقا ستحرس القصر الليلة ؟

- لا ، لنضع الحراسة لـ "جمبرت" إذا شاء ، أما أنا فساغلق بابي علي ،

واستسلم للنوم العميق ..

فقالت المرأة في أسي :

- لقد كنت اعتقد أنك ستبر بوعدك .. ولو كنت رجلا لفعلت ..

- لو كنت رجلا لما جازفت بالتعرض للقتل رميا بالرصاص ، إن

الحديقة غاصة بالأشجار التي تصلح لاختباء القنلة ..

- ومع ذلك فإن من يراك وانت تلعب البولو يعتقد أنك رجل مقدم

وجري ..

- يجوز ، ولكن اللعب شيء والتعرض للموت شيء آخر ..

ومضى إلى غرفته ليتردى ثياب المساء ، وأخرج الرسائل التي كتبها

"ساتون" ، واختار منها رسالة أخرى استرعت اهتمامه أكثر من

سواها ، ثم خرج إلى الحديقة ، وبعد أن استوثق من أن أحدا لا يراه ،

لف الرسالة حول حصاة ، وربطها بقطعة من الخيط ، ثم قذف بها من

خلال نافذة غرفة نوم مستر 'جرانت' . وشاء القدر أن تسقط على فراش الرجل .

وقبل أن يعثر 'جرانت' على الورقة ، كان 'لوبيين' قد تسلل إلى غرفة .
أما 'جرانت' فقد عثر على الرسالة بعد أن ارتدى ثياب المساء ، وتهيأ للنزول إلى الطابق الأرضي ..
وسرى الفزع إلى قلب 'جرانت' ، والتقط الرسالة بيد مرتعشة ، ونشرها ، وقرأ فيها ما يلي :

'سهما تتخذ من أسباب الحزن والحراسة فإن ذلك لن ينجيك من مخاليبي ، كل ما هنالك أنني أنتظر اللحظة المناسبة لأنزل بك ضربتي القاضية ، وقد يكون ذلك الليلة ويحتمل أن أكون لك بالمرصاد خلف أي باب تفتحه ، أو في انتفاارك عند أول ركن تدور حوله .

ف . و . س .
وركض مستر 'جرانت' إلى غرفة زوجته ، فذعرت وصيفتها عندما رآته يشير إليها بحركات جنونية لتغادر الغرفة . وصاح :

- انظري إلى هذه الرسالة ، لقد عثرت عليها فوق فراشي .
وبعد أن قرأت 'ناتيكاً' الرسالة ، هتفت :

- وكيف وضعت هناك ؟
- لا ريب أن شخصاً قذف بها من النافذة ؟
- على 'ريجان' أن يفتش الحديقة في التو ، ألم تأمره بذلك ؟
- لا .. لقد شل الفزع تفكيره .

فعصف الغضب بعسر 'جرانت' والتقطت سماعة التليفون .. وبعد أن أصدرت أوامرها إلى 'ريجان' ، التفتت إلى زوجها قائلة :

- لقد اتهمت 'دوبيين' خطأ ، فإنها ليست موجودة هنا الآن حتى يمكن أن نرتاب فيها .

- ألم أقل لك إن 'فرانك' على مقربة ؟ إنه يسخر منا الآن ، فهو يقول

إنني لا أستطيع دفع انتقامه .. يا إلهي ! ما أشد خوفي !!
فصاحت 'ناتيكاً' في حدة :

- لا تكن أبله ، لقد ثبتت إدانة 'فرانك' وحكم عليه بالسجن فلا نوم عليك إذن من هذه الناحية .. إنني واثقة من أنه ليس موجوداً داخل القصر أو على مقربة منه ، لأنه يعلم أن البوليس يبحث عنه ، على أنني واثقة ، على الرغم من ذلك ، أن للفتاة الفرنسية التي أوليتها لثقتي ضلعاً في هذه المهزلة .

كانت 'ناتيكاً' تشعر بكثير من الاطمئنان ، لعلمها أن زوجها السابق رجل طيب القلب ، لا يلجأ مطلقاً إلى استعمال وسائل العنف . ولا يحمل لرجل أساء إليه أي ضغن ، ولكنها ، على الرغم من اطمئنانها النسبي ، بدأت تشعر بشيء من القلق .

وجاء 'تورب' ليقول أن 'ريجان' ومساعديه فتشوا القصر والحدائق بكل عناية ولكنهم لم يجدوا الثرا لدخيل .

وكان المدعون قد بدعوا يقدون على القصر فهبطت وزوجها إلى الردهة الكبرى لاستقبالهم . وما كادت مسر 'جرانت' ترى بعض أفراد الطبقة التي تحرق لهفة للاندماج بينها حتى نسيت رسائل التهديد وتنهلت أسارىها .

وقضى 'لوبيين' أغلب الوقت برفقة إحدى المدعوات ممن يتمنى كثير من الرجال أن يحظوا بنظرة من عينيها الساحرتين .

وعلى اثر انصراف آل 'بيكسل' بدأ المدعون في الانصراف أيضاً ، حتى إذا اشرفت الساعة على الثانية صباحاً غادرت آخر سيارة القصر ، ولما جاءت الساعة الثالثة كان القصر يسبح في الظلام الدامس ، في حين بقي 'جمبرت' مستيقظاً ، ويروح ويغدو في الدماليز .

ورآه 'روليش' في إحدى جولاته ، فلم يتمالك نفسه من الابتسام . وطرق باب غرفة 'لوبيين' ، وبعد قليل سمع صوتاً يغلب عليه النوم

يطلب إليه الدخول وعندما فتح الباب ودخل ، رأى 'لويين' ينهض من فراشه ، ويرتدي معطفاً منزلياً ، ثم يوافيه إلى غرفة الجلوس .

وقال 'لويين' لـ 'روليش' :

- إنك ثالث رجل يوقظني من نومي . فقد جاء مستر 'جمبرت' أولاً ، وطلب إلي أن انضم إليه للحراسة ثم جاء 'بايسون جرانث' يسألني لماذا لم أبر بوعدي . ثم هانت قد جئت .. فماذا تسألني أنت أيضاً ؟

فابتسم 'روليش' .. وقال :

- ظننت أنك قد تكون راغباً في القيام بجولة في الحديقة ولما كنت ذاهباً لأداء هذه المهمة فقد عرجت عليك لأسالك أن ترافقني إن شئت .

فقال 'لويين' في غضب :

- بل أذهب وحيدك .. فيم هذا التامر للتضحية بي في سبيل حراسة منزل رجل غريب ؟ ثم ما شانك بالحراسة وأنت رجل مالي ؟

فقال 'روليش' في صوت حازم :

- لقد حان الوقت لإحاطتك بالحقيقة .. إنني من رجال البوليس الخاص . وقد استخدمتني مسز 'جرانث' للسهر على سلامة مدعوها .

- أقول لك الحق إنني ما كنت أعتقد ذلك . ولعلي أنا الوحيد الذي لم يعرف هذه الحقيقة حتى الآن ..

- على العكس . إنك ومستر 'جمبرت' الزائران الوحيدان اللذان يعرفانها .

- وهل تعتقد أن هناك خطراً يلوح في الأفق ؟

- نرجو ألا يكون هناك خطر البتة ، ولكنني لئن أنام الليلة ، وسارقب هذا الطابق بالذات لأن المدعوين يشغلونه وجميع جواهرهم فيه .. ولن أتردد في إطلاق النار على أي شبح متسكع دون أن أسأله من يكون ..

فابتسم 'لويين' . وقال :

- إذن فساغلق بابي بالمفتاح ، وهذا عمل لم أقدم عليه من قبل .

وانصرف 'روليش' .. وير 'لويين' بوعده ، فأغلق الباب بالمفتاح .

بيد أنه سرعان ما نفّض عنه غبار النوم المصطنع .. وسحب حقيبة ثيابه . وأخرج منها ثوب استحمام أسود كان قد ابتاعه بعد ظهر ذلك اليوم وهو مصنوع من الصوف ويغطي كل الجسم .. ولما ارتداه وضع على رأسه قبعة طيار سوداء .. وتسلح بمسدس صغير ثم لبس قفازاً من المطاط .. وأطلق النور .. وتسلل إلى الشرفة .. ثم تسلق العמוד الحديدي إلى الحديقة .. وألقى نظرة نحو المحيط ، فرأى ضوء مصباح اللنش أبعد مما كان فادرك أن العاصفة قد بدأت تهب .. فهز رأسه .. وتمنى أن ينفذ 'انتوني ثورب' التعليمات التي زوده بها في أثناء النهار بدقة ..

واقرب 'لويين' أخيراً من الحمام .. وما لبث أن رأى قارباً صغيراً مشدوداً إلى الشاطئ ، وهو يتأرجح تبعاً لعلو الماء وانخفاضه .. وفيه رجل واحد يمسك مجدافين . فأيقن أن هذا القارب في انتظار عودة 'بيير روليش' .

وكان راكب القارب منصرفاً إلى التحديق نحو القصر في انتظار الإشارة المتفق عليها بينه وبين 'روليش' حتى أنه لم ينتبه للشبح الذي مر سابحاً على بعد أمتار معدودة من القارب .. كما لم يشعر به رفاقه الموجودون على ظهر اللنش . فقد كانوا أيضاً منصرفين إلى التطلع نحو القصر في انتظار هذه الإشارة ليستعدوا للرحيل .

وبعد طول انتظار وصل 'روليش' إلى اللنش سابحاً .. وتسلل إلى ظهره .. وما كاد الريان يراه سالماً ومعه الغنيمة حتى أصدر أوامره بالرحيل .. ثم لحق به مع بعض البحارة فأخذ يعرض عليهم الغنيمة ، ولكنه حرص على إخفاء جواهر مسز 'ستروس' الثمينة عنهم . وهي نصيب الأسد .. وبعد أن فرغ من عرض الجواهر قدم لهم زجاجة من العصير ليشرّبوا نخب انتصاره .. وراح يحدثهم كيف كانت مهمته

هيئة ، ويسخر من الضيوف وأصحاب القصر . وقد وجد البحارة في تصرف "جمبرت" وغباوته ما حملهم على الانفجار ضاحكين ، خاصة عندما علموا أنه هو أيضا لم يسلم من السرقة .

كان "ثورب" أشد الناس حيرة في ذلك اليوم .. ففيمما كانت حفلة الرقص على أشدها انتحى به "لوبيين" ركنا منعزلا وقال له :

- اصغ يا "ثورب" .. لقد وقعت على اثر الرجل الذي سم الكلاب . وقد عرفت من تصرفاتك أنك تتمنى أن تراه ينال نفس الجزاء .

فصاح كبير الخدم في حماس :

- بودي لو تستج لي هذه الفرصة .

- سوف أتيحها لك .. ولكن ذلك قد يستلزم أن تقضي الليل ساهرا .

- ولم لا ؟

- ثم إنك قد تتعرض للموت بطلق ناري .

- ذلك لا يخيفني .. ثم إنني أعرف كيف استغل مسدسي .

- لكن حذار أن تطلق النار علي خطأ ، لأنني ساقف في وجه هذا

الشقي واحول بينه وبين ركوب البحر .. والآن اصغ لما ساقول .

وأصغى "ثورب" لحديث "لوبيين" وعلامات الدهشة البالغة تعلو وجهه . وختم "لوبيين" حديثه قائلا :

- والآن تذكر أنك يجب أن تكونوا جميعا مدججين بالسلاح ، ومزودين بالمصابيح الكهربائية ، وقد لا تضطركم الظروف إلى استعمال المسدسات لكن يجب أن تقبضوا على كل رجل منهم !

كان ريان اللنش واقفا إلى عجلة القيادة ، وهو يفكر في حصته من الغنيمة ، عندما رأى نفسه يحرق بغثة في فوهة مسدس يشهده شبح غريب يرتدي ثيابا سوداء والماء يقطر منه ، كأنما برز من جوف البحر فجأة ..

وذعر الريان ، وتراجع إلى الوراء ، و"لوبيين" يضيق الخناق عليه

حتى الصقته بالجدار ، وقال :

- لقد توليت أمر اللنش بدلا منك فحذار أن يبدر منك أي صوت أو حركة .. وإلا قذفت بك إلى اليم ..

وفي لمح البصر ، التقط حبلا ، شد به وثاق الريان المبهوت وكممه .. ثم أدار عجلة القيادة ، وحول مقدم اللنش نحو الشاطئ ثانية .

وساعدته الريح على الإسراع ، وظل "لوبيين" يرقب الشاطئ عن كثب وهو يدير مقدم اللنش نحو الدرج الرخامي الذي انشأه أصحاب القصر في حمامهم . حتى إذا اقترب اللنش من الشاطئ رفعتة موجة قوية ، وقذفت به إليه .

وفي تلك اللحظة برز "ثورب" ومعاونوه الستة من حظيرة السيارات القريبة وتكاثروا حول اللنش وقد عقدت الدهشة ألسنتهم .

وكان بحارة اللنش الثمانية قد صعدوا على ظهره بعد ارتطام اللنش باليابسة ، وما كادوا يرون رمل الشاطئ حتى أدركوا أن ثم خطر يهددهم ، فوثبوا إلى الأرض .

وكانت تعليمات "ثورب" التي تلقاها من "لوبيين" تقضي عليه بعدم القبض على الرجل الذي يدعو نفسه "بيتمان" عندما يغادر القصر كما أطلعه على أن الرجل لص وليس من رجال البوليس كما يزعم . لذلك تركوه ينطلق إلى الشاطئ ثم انتظروا عودة اللنش ليقبضوا على بحارته والواقع أن "ثورب" ومساعديه راوا "بيتمان" يأتي إلى الشاطئ ، ويستقل القارب ، ويقترب من اللنش ، بيد أن شدة النوء حالت بين التصاق القارب به ، فوثب إلى الماء ، وسبح نحو اللنش ، ثم تسلق إلى ظهره .

فلما راوا اللنش يعود أدراجه إلى الشاطئ ، ويستقر عنده نشطوا للعمل ، واحاطوا بالبحارة الذين وثبوا إلى اليابسة .

وبقي "بيير روليش" على ظهر اللنش وحده ، وراح يراقب ما يحدث

الفصل الثالث عشر

كان 'بيتمان' قد طلب إلى مستر 'جمبرت' أن يجلس في الرهبة المظلمة .. ويطلق النار على أي شبح يراه منطلقا ركضا . فقبل الكهل هذه المهمة عن طيب خاطر .. ولكنه ما لبث بعد نصف الساعة أن شعر بوعاة البرد فعول على الذهاب إلى غرفته لإحضار معطفه .. ولكنه ما كاد يبلغ الغرفة حتى رأى 'بيتمان' يتأمل خاتمه الماسي الثمين .. فاستحوذ عليه الغضب والدهشة معا .. وقبل أن يفيق مما ألم به ، كان 'بيتمان' قد انقضض عليه ، وجذبه من ساقيه . فسقط الرجل وارتطم رأسه بالدولاب ففقد وعيه .

وعندما أفاق من إغمائه وجد نفسه مشدود الوثاق .. ومكعماً .. فحاول أن يتخلص من القيد .. ولما لم يفلح ، أخذ يحرك شديقه حتى تخلص من الكمامة ومن ثم بدأ يملأ الجو صراخا حتى ايقظ النائمين ، وجعلهم يهرعون إليه في فرح ..

واكتشف رب الدار أن أسلاك التليفون الموصل إلى جناح الخدم قد قطعت .. واستولى الفرع بغتة على زوجته فمنعته من مغادرة غرفته .. ولكن ما كاد باب الغرفة يطرق حتى صاح رب الدار :

- ليس في استطاعتي أن أبقى هنا بينما يذبح بعض ضيوفي ذبح الشاة .

وانقضض على الباب وفتحه ، فإذا بالقادم مستر 'ستروس' .. وراح القادم يخبر الزوجين بفقدان الجواهر . وحدثهم عن الصرخات التي كانت تنبعث من غرفة 'جمبرت' ..

وإن هي إلا لحظات حتى عرفت مسز 'جرانت' أن جواهر أغلب ضيوفها قد سُرقت ولما بحثت عن جواهرها لم تجد لها أثرا أيضا ..

على الشاطئ في اهتمام ، فخطر له أن البوليس قد أعد لهم كمينا ، ولكنه لم يكثر ، فلم يكن في إجراءات اللنش أي ماخذ ، ولكنه تذكر الجواهر التي سرقها فأسرع إلى مكانها وحملها إلى مخبأ سري كان قد أعد له هذه الغاية ثم ركض نحو مقدم اللنش ، وتطلع إلى الشاطئ ، فلما رأى البحارة مقبوضا عليهم ، هتف في أسى :

- هذه يد القدر !!

وتحول عن سياج اللنش ، وعندئذ رأى شبحا أسود منتصباً أمامه ، ويداه معقودتان فوق صدره ، ولما كان ممن يعتقدون في الخرافات فقد سقط ساعده إلى جنبه ، وخانته قواه .

أمسك 'لوبيش' بذراع 'روليش' في عنف ، وقال :

- نعم إنها يد القدر !!

ولم يقاوم 'روليش' 'لوبيش' عندما فتشاه ، ولم يحاول أي دفاع . فقد أحس بقوة مسدسه تلتصق بصدرة .

واستطرد 'لوبيش' بعد قليل :

- هلم ارني أين أودعتها ؟ وإياك أن تخدعني وإلا أطلقت النار عليك . فصاح 'روليش' في وحشية ، فقد غاظه أن يكون الرجل الذي سخر منه هو الذي يهدده بالقتل :

- ماذا تقول ؟! هل تهددني بالقتل ؟

- أكبر ظني أنك لن تتيح لي هذه الفرصة الذهبية !

ومضى بعض الرجال إلى غرفة 'جمبرت' وفكوا قيوده .. فطلق
يحدثهم عن مذلة 'بيتمان' .. ثم انطلق راكضا إلى غرف الخدم ، ولكنه
وجدها جميعا شاغرة ..

وبينما كان الجميع واقفين في الدهليز وقد عقدت الدهشة السننهم
إذ حملت الريح إليهم صوت ارتطام اللنش بالشاطئ ، وأعقب ذلك
وميض عدد من الأضواء ودمدمة .

وركض 'جمبرت' إلى الدرج وهبطه .. بينما صاح مستر 'بروستر'
من أسفل يقول إنه اتصل بالبوليس وأبلغه النبا .. فهرع الجميع إلى
الطابق الأرضي .

واقبل 'ثورب' في تلك اللحظة ، والدم يسيل من جرح في وجهه ،
ويقود أمامه 'زوليش' وقد تورم أنفه وإحدى عينيه
وصاح جرائت:

- يا للسماء ! هذا 'بيتمان' !

وجاء بقية الخدم ، وكل منهم يقود أسيره أمامه ، وفي المؤخرة دخل
'لوين' إلى الردهة ، وهو بالزي الغريب وكان يحمل في يده حقيبة
ثياب ، ما إن فتحها حتى رأى المدعوون جواهرهم في جوفها ، وكمية
أخرى من الجواهر المشهورة التي كانت قد سرقت حديثا ..

واقبلت مسز 'ستروس' على 'لوين' ، وقبلته .. وصاحت :

- يا بني العزيز .. إنك مبتل من قمة رأسك إلى أخمص قدميك، يجب
أن تبادر بأخذ حمام ساخن ، والا أصبت ببرد شديد .

وتأمل 'جرائت' جميع الأسرى ، فلما لم يجد 'ساتون' بينهم تنفس
الصعداء ، وشعر بالارتياح الشديد ، ثم صاح دعونا نسمع القصة
أولا . ولكن 'لوين' قال معتذرا :

- إن رجال البوليس يوشكون أن يجيئوا ، ومن ثم فإنني أفضل أن
أسرد القصة مرة واحدة .

وصعد إلى غرفته حيث استبدل ثيابه . ولما هبط إلى الطابق
الأرضي كان رجال البوليس قد جاءوا .. وشرعوا في التحقيق ..

وادل 'لوين' بأقواله إلى المحققين .. ولكنه حرص على ألا يأتي إلى
ذكر 'الكونتيس' أو إلى ما قد يكشف عن أن لها ضلعا في الحادث .

وعلى أثر انصراف البوليس والعصابة ، راح المدعوون يمطرونه
وابلا من أسئلتهم فقال يلخص لهم القصة :

- كان أول عامل دفعني إلى الريبة في أمر 'بيتمان' هو حادث الغلاف
المستعار وقد لاحظت بعد ذلك أن الرجل يكثر من الذهاب إلى حمام
السباحة ويأتي بإشارات غريبة مريبة من مصباحه الكهربائي ، وكان
يتلقى جوابا عنها ، إشارات من نوعها صادرة من لنش قريب ، فرحت
أراقب هذا اللنش عن كثب ... ولما رأيت 'بيتمان' ينظر اليوم إلى
البارومتر بقلق أيقنت أن الرجل يعتزم القيام بعمل ما لأن المد سيكون
عاليا الليلة . وقد تأثرته فعلا إلى الشاطئ ، ورأيته يحرك مصباحه
بطريقة فهمت منها أنه يطلب إلى بحارة اللنش أن يكونوا على
استعداد .. ومن ثم عولت على العمل .. ورسمت خطتي ..

وشرح لهم كيف عهد إلى 'ثورب' بجمع رجاله ، وترقب وصول
الlnش إلى البر للقبض على بحارته .

وفي الساعة السادسة صباحا ، أوى جميع المدعوين إلى فراشهم ..
وكان 'بايسون جرائت' أشدهم مرحا .. إذ كان يعتقد أن 'بيتمان'
صنيعة 'ساتون' وأنه المسؤول عن الرسالتين اللتين وصلتا إليه .

الفصل الرابع عشر

بعد يومين استأذن "لويين" من مضيفه واستقل سيارته إلى قصر "فان يودن" .. فاستقبله خادم ياباني انباه ان مستر "سويثن ويلد" سال عنه تليفونيا مرتين . فانطلق "لويين" إلى التليفون واتصل به في ناديه . وضرب له موعدا ليتناولوا طعام الغداء معا ظهر اليوم التالي .. ثم اتصل بمنزله في "سنترال بارك" ، وانبا مسز "كينني" انه حاضرا إليهم في الساعة التاسعة مساء ..

وفي طريقه إلى منزله ابتاع نسخة من إحدى صحف المساء ، وشد ما راعه أن رأى صورته منشورة في صدر الصحيفة .. وقصة السرقة التي وقعت في قصر ال "جرانت" .. مع تعليق مسهب من المحرر يشيد فيه ببسالته وجراته .

وكانت مسز "كينني" قد ابتاعت لضيفيها نسخاً من صحف المساء .. طالعا فيها نبا الحادث فلما حضر "لويين" راحا يعطرائه بأسئلتهما . ولاحظ "لويين" أن "دوبين" قد استردت أناقتها وجمالها الساحر بفضل الثياب التي ابتاعتها لها مسز "كينني" واقنعتها بارتدائها . وقضى "لويين" زهاء الساعة وهو يجيب عن أسئلة الضيفين . وأخيرا سألته الفتاة .

- وماذا قالوا بشأن اختفائي ؟

- لم اسمع أحدا يذكر شيئا عنك .. فقد كان للرسائل الغامضة التي تلقاها "جرانت" أسوأ الأثر في نفوسهم .

فهتف "ساتون" :

- إذن فقد أحدثت الأثر المنشود ؟

- لقد كاد عقل "جرانت" يذهب بسببها .. وقد أقمت على مراقبته عن

كتب .. فلاحظت انه يخشى الانفراد بنفسه . يفرط في الشراب بالنهار
وتعاطي النومات بالليل . وقد كاد يصارحني ذات يوم بمتاعبه لولا ان
جاءت زوجته فقطعت علينا الحديث .. ولكني واثق من انه سيفعل ذلك
عن قريب لانتي جاد في تحطيم أعضائه رويدا رويدا . ويومئذ يضطر
تحت وطأة القزع إلى كتابة اعتراف شامل .
فقال "ساتون" :

- ليس في استطاعتي ان اتصور كيف ستوفق إلى إرغامه .
- دع ذلك لي ، فإنني مطمئن إلى النتيجة .
وتصادف ان غادر "ساتون" الغرفة لبعض شأنه ... فسأل "لوبيين"
الفتاة :

- إن دواعي الحذر توجب علي أن اسالك . هل يبحث عنك بوليس
هذه البلاد ؟

فابتسمت الفتاة ابتسامة حزينة .. وقالت :

- نعم لقد أصدرت حكومة الولايات المتحدة أمرا بالقبض علي .. ولكن
البوليس هنا يعتقد أنني عدت إلى أوروبا منذ عدة سنوات . وأنتي لا
أزال هناك .. ويوم صدر هذا الأمر كنت في واشنطن ، أنتحل شخصية
أخرى واتسمى باسم آخر .

وعاد "ساتون" بعد قليل وانضم إليهما وراح يحدثهما عن الأيام
القلائل التي قضاها في الاستوديو ، وكيف تعلم فن التنكر ؟
وأخيرا نهض "لوبيين" .. واستأنهما في الانصراف .

اجتمع "لوبيين" بصديقه "ويلد" حول مائدة الغداء في اليوم التالي ،
وكان "لوبيين" يعرف أن جليسه شاب مغامر جريء . ومن ثم عول على
مصارحته ببعض أطراف مغامرته الحالية . وهو واثق أن الشاب لن
يتردد في بذل كل معاونة مستطاعة .. ومن ثم ظل يدير دفة الحديث
بلباقته المعهودة حتى طرح حادث سرقة قصر ال "جرانت" .. فقال

"ويلد" :

- يبدو لي من مطالعة التفاصيل أن هذا الحادث بالذات هو الذي
جعلك تقبل دعوة مسز "جرانت" .

فمال "لوبيين" إلى الأمام في مقعده وقال :

- لا .. إن ال "جرانت" لا يزالون يجهلون زيارتي لقصرهما .

فقال "ويلد" بعد قليل من التردد :

- إن كلامك عن الزوجين يوحي إلي بأنك لا تميل إليهما .

- بل إنني أبغضهما .. على الرغم من ترحيبهما العميق وحسن
ضيافتهما . والواقع أنني ما قبلت دعوتهما إلا لأنني أقسمت أن
أسوق الزوج إلى السجن .

فصاح "ويلد" في احتياج :

- ولماذا ؟

- ليس الآن بالوقت المناسب لإطلاعك على السبب .. وعندما يحين
سألجا إليك وإلى بعض صفوتك في طلب المساعدة وقد تضطر إلى
التخلي لي مؤقتا عن منزلك الريفى .

- إنى وما أملك تحت تصرفك .. فقط سأغيب أسبوعين في زيارة
أمي ، فإذا أرجأت المغامرة حتى عودتي ، فسأشترك فيها بكل سرور .

- هذا يلائمني .. إذ أكون في خلال تلك الفترة قد أعددت كل شيء ..
أما الآن فأصغ إلى أول طرف من خطتي . عليك أن تنتقل إلى منزلي
الريفى وأن تبعث إلي ببرقية على قصر ال "جرانت" فساعدوا إليه بعد
أسبوع .. واطلب إلي أن أزورك لبضعة أيام . وعندئذ سأبرق إليك
أسالك أن كان في استطاعتي أن أصحب معي "بايسون جرانت" لأنه
مريض وفي حاجة إلى الراحة والاستجمام .. وليكن ذلك في اليوم
الخامس عشر من هذا الشهر .

ومع أن "ويلد" حاول أن يستدرج "لوبيين" للإفصاح ، إلا أن هذا أصر

على الصمت ..

وافترق الصديقان على ذلك .. وانطلق "لويين" لمقابلة صديق له مخرج افلام يدعى "هوراسي ويمز".

وكان "ويمز" يدين لـ "لويين" بخمسة عشر الف ريال .. وظن انه جاء يساله الوفاء .. فلما انباه "لويين" بانه لا يريد مالا سري عنه .. وفادى الممثلات اللاتي كن يعملن في الفيلم الذي كان يخرجهم وقتئذ .. وقدم "لويين" إليهن ..

وقضى "لويين" بعض الوقت يتحدث إلى "ويمز" والممثلات في الشؤون السينمائية .. ثم اعرب عن رغبته في مشاهدة العمل في الاستوديو .. وركب الجميع سيارة "لويين" وانطلقوا بها إلى "فورت لي" حيث توجد بعض الاستوديوهات .. ومن بينها ذلك الذي يشرف عليه "ويمز".

وقد ظن "ويمز" ان "لويين" يريد الاندماج في عالم السينما .. وخطر له ان يتخذ منه بطلا لفيلم جديد بعد ان ذاع صيته في حادث قصر ال "جرانت" .. ولكن شد ما كانت خيبة امله عندما رأى "لويين" يتفرد بمدير الاستوديو .. ويقضي معه حوالي نصف الساعة في حديث مستفيض عن العمل السينمائي .. والآلات المستعملة في الاستوديو ثم يقوم بجولة في ارجاء المكان للدرس والاستطلاع وكان "ويمز" مدينا لصاحب الاستوديو بأجر اسبوعين فدفعها "لويين" عنه .. كثرمن للمعلومات المهمة التي حصل عليها ..

ثم انصرف بعد قليل .. وذهب لمقابلة "دافيد مور" فتلقاه الرجل مرحبا ..

قال "لويين" :

- إليك مهمة جديدة .. اذهب غدا إلى "تاريتون" .. واستاجر سيارة طول النهار .. وابحث عن منزل يشرف على نهر "هدسون" .. له حديقة

فسيحة الأرجاء .. واستاجره لأقصر مدة مستطاعة .. انا لا ابالي بالنفقات التي يتطلبها إصلاح مثل هذا المنزل .. على اني اذكر ان هناك منزلا شمال "اوسننج" كان خاليا عندما مررت بالقرية في الشهر المنصرم .. وهو منزل معقول لإيلائهم أصحاب الملايين ولايستطيع افراد الطبقة المتوسطة ان يستاجروه .. لكن لاتبحث أبعد من "بيكسكيل" شمالا ولا "إيرفنجتون" جنوبا .. وإليك بعض المال للإنفاق منه إذا دعت الضرورة .. وسأوافيك إلى "تاريتون" لتوقيع عقد المنزل الذي يقع عليه الاختيار .. لكن تذكر أنني أريد منزلا يشرف على النهر مباشرة ..

الفصل الخامس عشر

عاد دافيد مور إلى فورث لي وهو يحمل قائمة تحتوي على خمسة منازل خالية في البقعة التي طلب إليه لوبين البحث فيها . وما كاد لوبين يطلع على العناوين ، حتى اختار قصرا عتيقا به ست عشرة غرفة .. وتحيط به حديقة مساحتها عشرون فدانا .. يطل على نهر "هدسون" مباشرة .. وبه بناء صغير محجوب عن الأنظار .. وما كاد لوبين يشاهد القصر حتى أعجب به .. وأيقن أنه يلائم أغراضه فاستأجره في التو واستقل سيارته ومعه مور وفي الطريق قال له :

- هل تستطيع أن تترك حانوتك أسبوعين .. أو أكثر ؟

فاجاب الرجل :

- الحق اني ارحب بآية فرصة تمكنني من الحركة قليلا .. فقد ضقت ذرعا بكثرة الجلوس ..

- اني اريدك ان تشرف على تنظيم القصر .. وإعداده .. إن به اثنا كافيا .. وفقط نحن في حاجة إلى الفراش .. ولكني لا اريدك ان تستعين بأحد .. بل ولا أن ترافقك أسرتك .. وفي استطاعتك ان تبتاع معدّاتك من الحوانيت المحلية .. ولكن حذار أن تشجع البائعين على ارتياد المنزل .. هل فهمت ؟

- نعم يا سيدي ..

- ساعود إلى هنا بعد بضعة أيام .. وأما أنت فينبغي ان تأتي غدا ظهرا ..

وفي الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم نفسه اوقف لوبين سيارته امام منزل كلارك .. واستقبله الرجل بحماس كعادته .. وخلا به في غرفته

ثم اصر على ان يشاركه زجاجة من الشراب المعتق الذي صنعه بنفسه ..

وبينما كان الرجلان يحتسيان الشراب .. سال كوين :

- هل سبق أن سالتك معروفا يا كلارك ؟

فتطلع إليه الرجل محيرا .. وقال بعد قليل :

- لا يا بني .. إنك لم تفعل ذلك حتى الآن .. وبودي أن تكل إلي أي أمر ..

وظلق كوين يتحدث إلى صديقه زهاء عشر دقائق ، وكان كلارك يقاطعه بين الفينة والفينة ..

فلما فرغ كوين من حديثه صاح الآخر :

- أتسالني يا بني أن كنت أوافق ؟ عجباً لك !! بالتأكيد إنني موافق ..!

- فقال كوين شاكرا :

- إنني جد مسرور لذلك .. عندما يعد كل شيء سأتصل بك تليفونيا وأبعث إليك بسيارة ..

- من واجبي أن الفت نظرك إلى أن امامك عقبات كؤودة !

لكن لنفرض أنها لم تتحطم كما تعترض ، فعماذا يكون موقفك ؟ ..

- سيئا للغاية بغير شك .. أنا لا أستطيع أن أجزم بأن هذا العمل

قانوني .. ولكني مطمئن إلى النتائج بعض الاطمئنان فإذا نجحت

الخطة قسيغفر الجمهور عن الوسائل غير المشروعة التي لجأنا

إليها . وعلى أثر انصراف كوين من مقابلة كلارك ذهب من قوره إلى

الاستوديو ، حيث اجتمع بالمدير فترة طويلة من الوقت أتم في خلالها

الإلام بأعمال الاستوديو .. وقبل أن ينصرف ، طلب إلى المدير أن يعيره

أربعة من عماله مقابل أجر كبير ..

وبعد مساومة قصيرة ، قبل المدير أن يعيره العمال المطلوبين ..

وكانوا يدعون ستافورد و كلانس و كيفلاند و ديل .

واستقل الرجال الأربعة سيارة كوين الفاخرة .. وانطلقوا جميعا

إلى المنزل الجديد الذي استاجره في تاريتون . وفي الطريق دخل

كوين مع ستافورد في حديث فني طويل .

الفصل السادس عشر

عندما عاد 'لوبين' للإقامة في قصر آل 'جرانت' ، لم يجد بين الضيوف غير 'كاترين هولاند' ، بينما رحل الباكون ، وقد حل محلهم طائفة من الشباب المرح العابث ..

وكان اللنش 'لابل اليانس' قد سحب إلى الميناء .. وتولت السلطات المسؤولة ترميمه وتفتيشه .. فاسفر البحث عن العثور على كثير من المسروقات ولكن محاكمة 'روليش' وأعوانه تاجلت لاستكمال بعض نواحي القضية ..

على أن أهم ما كان يشغل بال 'لوبين' هو إيصال رسائل 'ساتون' التهديدية إلى 'بايسون' .. ذلك لأنه كان الضيف الوحيد الذي بقي من المدعويين القدماء .. فلو أقدم على بس إحداها فربما تسربت الريبة إليه .. وقد لاحظ أن 'جرانت' زاد انكبابا على الشراب ، فشحب وجهه وتملكته الأسقام ..

واتفق ذات مساء أن شكت 'كاترين هولاند' صداعا .. فصحبها 'لوبين' في جولة بالسيارة في الهواء الطلق .. وعندما عادا أوقف 'لوبين' السيارة أمام باب القصر ريثما يفتحه ...

واتفق أن مر غريب في تلك الأثناء ، وسأل 'لوبين' عن الطريق إلى 'اهنت هول' .. فدله عليه ..

وعندما عاد إلى الفتاة سألته :

- عم كان يسالك هذا الرجل ؟

- كان يريد أن يعرف أين تقع 'اهنت هول' .. ولكنني اعتقد أن سؤاله

لم يكن غرضه الوحيد فقد دفع إلي برسالة سألني أن أحملها إلى 'جرانت' .. شدد ما أعجب لماذا لم يعط الرجل الرسالة لـ 'جرانت' ؟

لعله خاف أن تهاجمه الكلاب ..

وبعد أن أدخل كوين سيارته في الجراج .. ومضى إلى قاعة الرقص الفى 'جرانت' في انتظاره ببابها .. وأوما إليه براسه .. وقال في صوت متهدج من غرط الوجل :

- لقد ذكرت كاترين أن شخصا أعطاك رسالة لي ..

فاعطاه كوين رسالة التهديد الثالثة .. فتناولها 'جرانت' وتسلسل إلى غرفة المكتب .. وقرأ فيها ما يلي :

'لقد نجوت هذه المرة لتدخل أحد أصدقائك عن غير عمد ولولا ذلك لكنت الآن في طريقك إلى 'بيونس ايرس' على ظهر اليخت 'لابل اليانس' ولئن ساورتك الريبة ، فاطر هذه المسألة في المحكمة مهما يكن فسوف أراك مرة أخرى في السابع عشر من هذا الشهر .. ليس لك غير طريق واحد للنجاة وذلك هو الاعتراف الشامل

ف . و . س

وما كاد الرجل يقرأ هذه الرسالة حتى اغمي عليه ...

وعندما أبلغ 'تورب' هذا النبا لـ'كوين' علل الإغماء بشدة الحر .. وطلب إلى مستر 'ديل' أن يذهب لمقابلة مستر 'جرانت' لبضع دقائق وكان أول سؤال اللقاء 'جرانت' على كوين هو :

- لعلك ميزت ملامح الرجل الذي أعطاك الرسالة ؟

- نعم .. ولو أن الأنسة كاترين لم تره .. لأنها كانت جالسة في السيارة ..

وأخذ كوين يدلي باوصاف 'فرانك ساتون' بدقة .. ولاحظ أن وجه 'جرانت' قد امتنع فسأله :

- هل عرفته ؟ ..

- كنت أود لو رأيته .. إنها رسالة تسول .. وأحسب أن من واجب

البوليس ألا يدع هؤلاء المتسولين يزعمون الناس هكذا .. ما تاريخ اليوم ..

- إنه الرابع عشر .. هل أستطيع أن أصنع شيئاً من أجلك ؟ - لا .. أشكرك ..

وعلى أثر انصراف كوين .. استدعى 'جرانت' زوجته .. وأطلعها على الرسالة .. وما كادت تقرأها حتى شحب وجهها فجأة ، واتصلت بالبوليس المحلي .. وافضت إليهم بالحادث ..

ولكن جميع الجهود التي بذلت لتعقب 'ساتون' ذهبت أدراج الرياح وكان 'جرانت' قد بدا يشعر بالاطمئنان نحو كوين بعد حادث اللنث .. فكان يحرص دائماً على البقاء بقربه .. وبينما كان يتحدث إليه في صباح اليوم التالي .. أقبل أحد الخدم يحمل برقية .. فاجفل 'بايسون' وخشي أن تكون رسالة تهديد جديدة .. ولكن الرجل دفعها إلى كوين ..

وقرأ كوين البرقية .. وقال :

- إن 'سويثن ويلد' يدعوني لإتفاق أسبوع في منزله الريفي ..

فتطلع 'بايسون' جرانت إلى كوين بنظرة المعائب .. وأدرك أنه فقد الرجل الذي يمكنه الاعتماد عليه .. واستطرد 'كوين' :

إن اليوم هو الخامس عشر .. فينبغي أن أرحل غدا .. ولا يسعني إلا أن أقدم لك شكري العميق على كرم ضيافتك ..

وتذكر 'بايسون' أن الموعد الذي ضربه له 'ساتون' هو السابع عشر .. فغاص قلبه بين جنبيه .. واصفر لونه .. وقال في صوت أجش :

- من حسن الحظ أن لك مثل هذا الصديق .. وأما أنا فينبغي أن أبقى هنا طواعية أو كرها .. ياله ! كم أود لو أرسلت إلي مثل هذه الدعوة .. إنها يلاشك ترفه عن أعصابي ..

- احقاً ؟ .. إذن سابعث إلى 'ويلد' وأنبئه بانك ستكون في رفقتي ..

فهل تستطيع أن ترافقني ..

- ليس ثم ما يعترض طريقي إذا وافق صديقك ..

وبعث كوبين ببرقية إلى صديقه "ويلد" يستأذنه في اصطحاب
مستر جرانت معه . فجاءه الرد بالموافقة .. ولم تمنع مسر جرانت
في رحيل زوجها .. فقد كانت تعلم أنه في حاجة إلى الراحة والهدوء ..
ثم إنها كانت تجد في هذه الزيارة فرصة طيبة للتفاخر والتباهي .. لأن
"ويلد" كان مليء بالحيوية ويُعدّ من شباب الطبقة العالية ...

تمت بحمد الله